

## الخطاب المتوسط

نحو مقارنة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات

## مقدمة

للتوجه اللساني الذي اصطلحنا على تسميته "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي" (المتوكل (2006)) ثلاثة أهداف متوازية متزامنة: الوصف والتفسير اللغويان والتأصيل والإجراء.

استشرافا لإحراز الهدف الأول قيم ببناء نحو وظيفي للغة العربية برصد ظواهرها في التزامن وفي التطور من منظور تبعية البنية للوظيفة مقارنا إياها باللغات التي تنامطها واللغات المنتمية إلى أنماط مغايرة<sup>(1)</sup>.

وسعيا في تحقيق الهدف الثاني، وُضعت منهجية علمية لربط البحث اللساني الوظيفي العربي بالتراث اللغوي العربي بلاغته ونحوه وأصول فقهه باعتباره مرجعا للاحتجاج ومصدرا للاقتراض والاعتناء.

أمّا ثالث هذه الأهداف فهو العمل على إدماج البحث اللساني الوظيفي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتسخير آلياته واستثمار نتائجه في المجالات الحيوية كالتواصل بمختلف أنماطه وتعليم اللغات والاضطرابات النفسية-اللغوية.

في إطار التوجه القطاعي، نستهدف في هذا البحث رسم بعض المعالم لنقل نظرية النحو الوظيفي من التنظير الصّرف المتواصل إلى الإجراء وبالتحديد لاختبار الإمكانيات التي تتيحها أحدث نماذج هذه النظرية لمقاربة المجالات الثلاثة انطلاقا من ثلاث أطروحات متلازمة سبق أن دافعنا عنها أو عن مثلها في مناسبات أخرى.

**أولاهما**، أن مستعمل اللغة يصدر عن نموذج ذهني واحد مهما اختلفت مجالات استعمال اللغة، **وثانيتهما**، أن مقارنة التواصل وتعليم اللغات والاضطراب اللغوي مجالات لا تقتضي بناء نظرية مستقلة لكل مجال بل يجب أن تؤول إلى إطار نظري ومنهجي واحد، **وثالثتها**، أن مقارنة هذه المجالات (وغيرها) يجب أن تؤطرها نظرية لسانية واحدة تجمع بين كفايتين اثنتين: كفاية الوصف والتفسير في دراسة اللغة باعتبارها موضوعا قائم الذات وكفاية الإجراء في القطاعات ذات الصلة باللغة. نرتئي أن نقسم البحث إلى ثلاثة فصول: **فصل** نفرده للمجالات موضوع المقاربة وهي مجالات ثلاثة: التواصل بأنساقه وأنماطه وتعليم اللغات ومختلف أنماط الاضطراب اللغوي و**فصل** نخصصه للمنهج نبسط فيه القول في خلفية الافتراضات التي تشكل منطلقا وضابطا للمقاربة التي نقترحها و**فصل** نكرسه للجهاز المروم تشغيله.

ليس من مزاعمنا بأي حال من الأحوال أن نقيم نظرية شاملة للتواصل سليمه ومضطربه تجبّ الركام الهائل من الدراسات مختلفة المشارب التي أفردت لهذه الظاهرة الحيوية بل إن مطمحننا الأقصى هو أن نبحت ما أسعفنا البحث في إمكان تطوير نظرية النحو الوظيفي ومنهجها وآلياتها في مقارنة عملية الترجمة وما يلابسها باعتبارها فرعا من فروع **الخطاب الموسّط** وما يثيره ذلك من قضايا وإشكالات نعدّها من صلب موضوع الدرس اللساني..

والله الموفق

الرباط 12 أبريل 2010

## الهوامش

- (1) انظر للمزيد من الاطلاع المراجع ذات الصلة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية.
- (2) انظر (المتوكل ( 1982 ) و(2006) و(2009) و(2010)) و(الزهري (1997) (2009)).

**الفصل الأول**  
**المجال :**  
**أنساق التواصل وأنماطه**

# الفصل الأول

## المجال :

### أنساق التواصل وأنماطه

#### 0. مدخل:

اعتيد على التعامل مع الترجمة، ممارسة وحقلا دراسيا وتخصصا علميا من التخصصات العلمية والأكاديمية، في معزل عن إطارها العام. وإطار الترجمة العام هو التواصل إذ إنها ليست إلا نمطا معيناً من أنماطه تتعالق فيه وعمليات أخرى كالشرح والتفسير والتأويل والتلخيص وتتأسر فيه ومجالات تبدو في الظاهر بعيدة عنها كتعليم اللغات وتحليل النصوص والاضطراب اللغوي.

#### 1. التخاطب/التواصل

دعنا بادئ ذي بدء نميز بين مفهومين كثيرا ما يتواردان أو يتعاقبان متلابسين: مفهوم "التخاطب" ومفهوم "التواصل"

يمكن أن يُحدّد التخاطب على أنه كل عملية اتصال تتم بين متكلم ومخاطب في مقام معين عبر قناة معينة قد تكون لغة (ملفوظة/مكتوبة) أو إشارة أو صورة أو غير ذلك.

والتخاطب تخاطبان: تخاطب يفضي إلى تواصل وتخاطب لا يفضي إلى تواصل.

ويحصل التواصل حين يفهم المخاطب تمام الفهم خطاب المتكلم من حيث فحواه ومن حيث مقصده معا كما هو الشأن في الحوار التالي:

(1) أ- هل قابلت هنداً هذا الصباح؟

ب- نعم، وأعطيتها أحد كتبي

أما التخاطب غير المفضي إلى تواصل، فإنه يحدث في حالتين: أولاهما حين يمتنع التواصل امتناعاً وثانيتهما حين يشوب الخطاب اضطراب ما في مقوماته البنوية نفسها أو في مطابقته لمقام التخاطب إنتاجاً أو تلقياً.

ويمتنع التواصل عادة حين لا يتقاسم المتخاطبان الأداة المتواصل بها. مثال ذلك ما هو حاصل في الحوار التالي:

(2) a- Did you meet Hind ?

ب- لا أفهم ما تقول، كلمني بالعربية

أما التواصل المضطرب فهو إما عرضي يحدث في مواقف تخاطبية عادية أو مرضي ناتج عن خلل نفسي أو عقلي لدى المتكلم أو المخاطب.

من أمثلة الاضطراب العرضي ما نجده حاصلًا في الحوار (3 أ-ب) كما نرى في البعد الإحالي للخطاب:

(3) أ- هل زارك إبراهيم؟

ب- مَنْ إبراهيم؟

ومن أمثلة الاضطراب المرضي الذي يشوب نفس البعد الإحالي الحواران (4-أ ج) و (5-أ ب) حيث يكمن الاضطراب في إنتاج الخطاب وفي فهمه على التوالي

(4) أ- \* هل قابلت الخنساء الشاعرة هذا الصباح؟

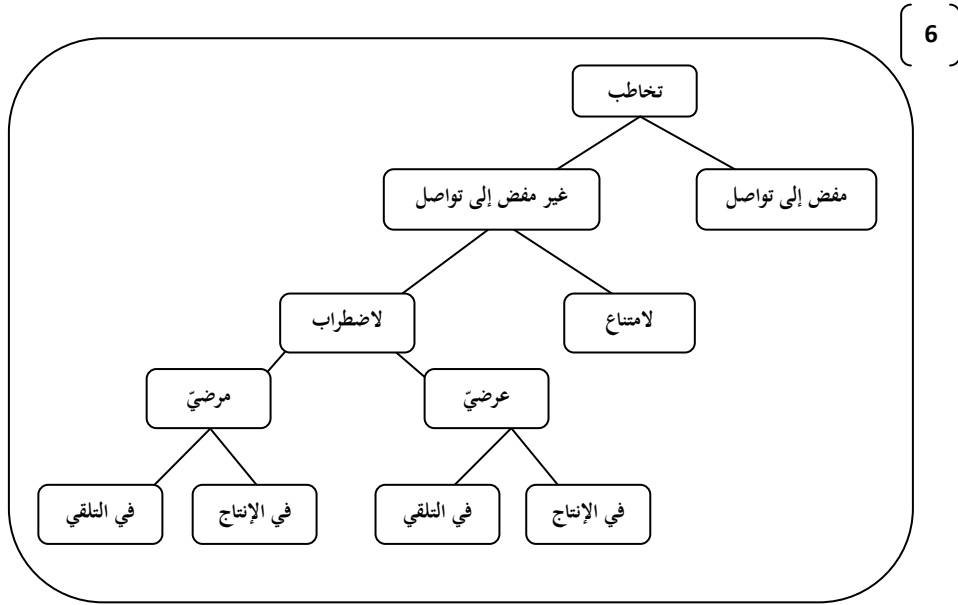
ب-؟؟؟

ج- ماذا تقول؟! ذلك غير معقول!

(5) أ- من قابلت هذا الصباح؟

ب- \*قابلت الخنساء وحدثتني عن أخيها صخر

يستخلص من هذا أن التواصل فرع عن التخاطب إذ إن كل تواصل تخاطب وليس كل تخاطب تواصل كما توضح ذلك الترسيم (6):



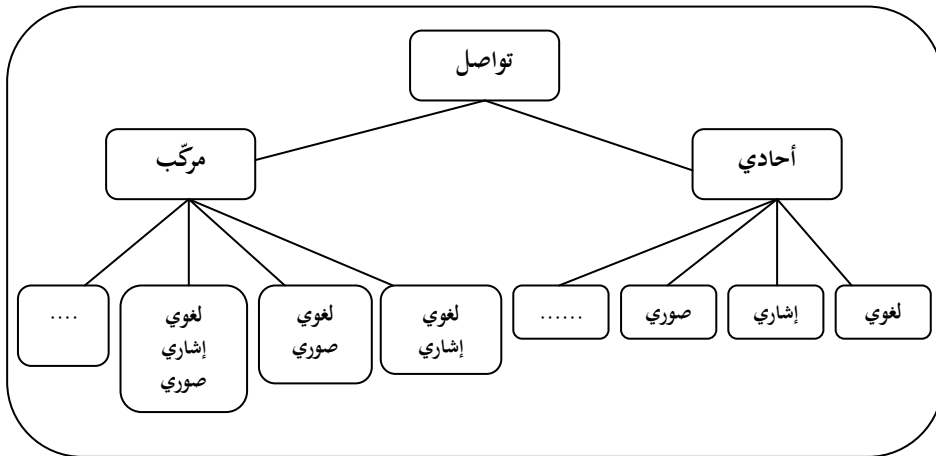
## 2. أنساق التواصل

من المعلوم أن التواصل لا يتم حصرا عبر اللغة بل يتأتى عبر أنساق تخاطبية أخرى كالإشارة والصورة وغيرهما وإن ظلت اللغة أنجع نسق للتواصل في المعتاد.

ويمكن التمييز في هذا الباب بين التواصل الأحادي المتوسل فيه بنسق تخاطبي واحد وبين التواصل المركب الذي تتضافر فيه أنساق متعددة. (1)

من التواصل الأحادي المحض الخطاب اللغوي والإشارة أو الصورة المجردتان الخاليتان من أي تعليق. ونجد في أدنى درجات التواصل المركب الخطاب اللغوي المنطوق المدعوم بالإشارة أو الإيماء وفي أعلاها الخطاب المرئي-المسموع كالخطاب الإشهاري أو الشريط السينمائي أو الأغاني المصورة حيث تتضافر في التعبير عن نفس الفحوى ونفس القصد اللغة والصورة والصوت.

دعنا نلفت النظر بهذا الصدد إلى أن ثمة مجالا خصبا للدراسة يدعو اللسانيين-الوظيفيين منهم على الخصوص- إلى المزيد من تعميق البحث في التواصل المركب قصد تدقيق رصد الدور الذي تلعبه الأنساق المتضافرة في نفس الخطاب والعلاقات الممكن قيامها فيما بينها، قصد الإجابة عن أسئلة من قبيل ما يلي: كيف تؤدى الوظائف التداولية كالمحورة والتبئير والتقوية؟ كيف يتم التعبير عن حدود الأفعال الخطابية وعن العلاقات التي تربط بعضها ببعض؟ ما هو النسق الذي ينتقى لبلوغ مثل هذه الأغراض بالدرجة الأولى وكيف تدعمه في ذلك باقي الأنساق؟ تقتضي البحوث في مثل هذا المجال طبعاً إطاراً نظرياً وظيفياً عاماً لعملية التواصل ككل وذلك ما سنحاول الاقتراب منه في مبحث لاحق. خلاصة ما أوجزنا القول فيه هنا عن أنساق التواصل في الترسيمة التالية:



### 3. أنماط التواصل

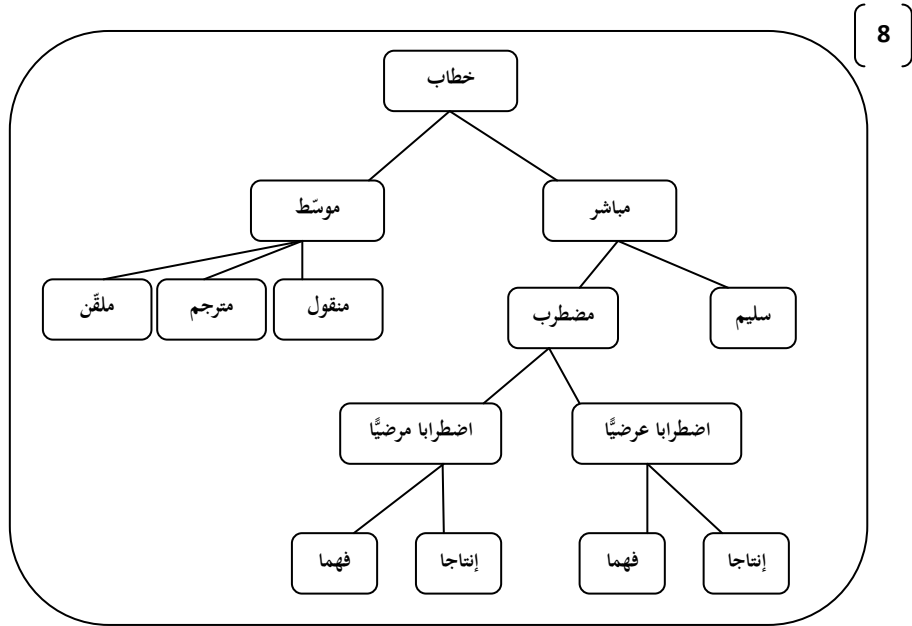
عنيت الدراسات اللسانية والمتلاسنة وغير اللسانية بتنميط الخطابات واعتمدت في ذلك معايير متعددة كمعايير المجال (علمي، ديني، سياسي،...) والآليات (سردي، حجاجي،...) وغيرها.

نتبنى هذا التنميط المتداول على أساس أن ما يفضى إليه من أنماط لا تتميز بعضها عن بعض التميز الصارم بل تتداخل فيما بينها ونقترح معياراً آخر يشملها وهو المعيار المتعلق بمكونات عملية التواصل نفسها. تقوم عملية التواصل عادة بين ذاتين متحققتين (متكلم ومخاطب) أو مجردتين (كاتب وقارئ، مؤسسة وجمهور،...) لا تالفة لهما. لنصطلح على تسمية هذا النمط "الخطاب المباشر" وأمثله الأمثلة (1-5) الأنف سوقها.

وتتم عملية التواصل، في حالات غير نادرة عن طريق ذات تالفة تتوسط بين منتج الخطاب والخطاب ومتلقيه (محققين أو مجردين) تشكل جسر عبور بينهما. وتتفاوت وساطة الذات التالفة بتفاوت تدخلها في الخطاب.

وتقوم الذات الواسطة، في أغلب الأحوال، بأحد أدوار ثلاثة: دور الناقل المحض ودور المترجم ودور الملقن.

لنصطلح على تسمية الخطاب الذي يمر عبر هذه الأصناف الثلاثة من الوساطة "خطاباً موسطاً منقولاً" و"خطاباً موسطاً مترجماً" و"خطاباً موسطاً ملقناً". على أساس أن الخطاب المباشر إما خطاب "سليم" أو خطاب "مضطرب" وعلى أساس أن الخطاب يشوبه في الحالة الثانية إما "اضطراب عرضي" أو "اضطراب مرضي" كما بينا أعلاه. يمكن أن نحصر أنماط الخطاب من حيث معيار مكونات عملية التواصل في الأنماط الكبرى الواردة في الترسيم التالية:



#### 4. الخطاب الموسّط المنقول

تحكم الخطاب الموسّط المنقول سلميتان قطبا الأولى الاستقلال والإدماج وقطبا الثانية المحافظة والتصرف.

لتبيان مدى خضوع الخطاب المنقول لهاتين السلميتين دعنا نفحص الأمثلة التالية<sup>(2)</sup>:

(9) أ- قالت هند لسعاد: "اخرجي من البيت"

ب- أمرت هندُ سعاداً أن اخرجي من البيت

ج- أمرت هندُ سعاداً أن تخرج من البيت

د- أمرت هندُ سعاداً بالخروج من البيت

هـ- أمرت هندُ سعاداً بمغادرة البيت

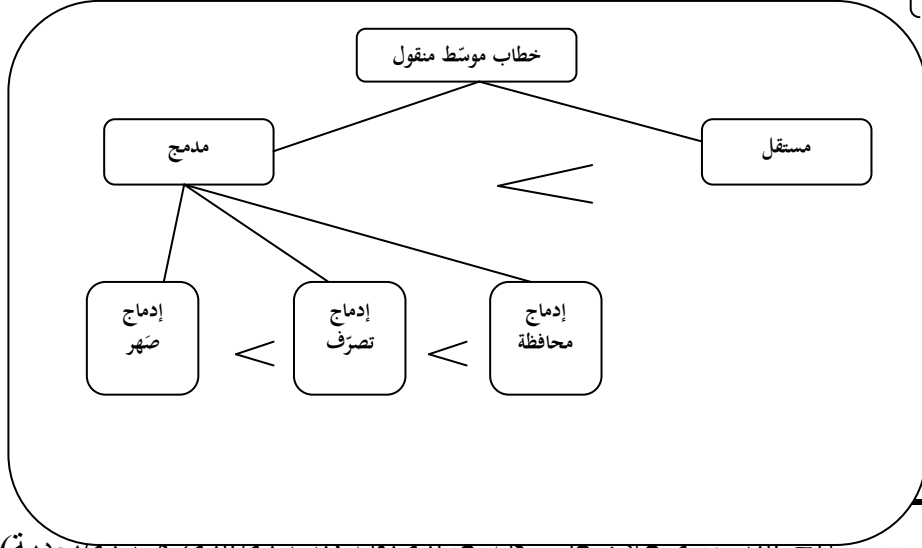
من حيث الاستقلال/الإدماج، أُورد الخطاب المنقول مستقلاً بنويماً عن الخطاب الناقل في المثال ( 9 أ ) بينما أدمج الثاني في الأول في الأمثلة ( 9 ب-هـ). ويتدرّج هذا الإدماج البنيوي من المثال ( 9 ب ) إلى المثال ( 9 هـ ) حيث يشكل الخطاب المدمج جملة في المثالين ( 9 ب ) و ( 9 ج ) في حين أنه يشكل مجرد مصدر يدل على نفس الواقعة (واقعة الخروج) عارية من مخصص التزمين في المثال ( 9 د).

أما من حيث وسيط المحافظة/التصرف فيلاحظ أنه لا تغيير ألحق بالخطاب الأصلي عند نقله في المثال ( 9 أ ) وتلاحظ نفس الملاحظة على خصائص الخطاب الأصلي في المثال ( 9 ب ) رغم الإدماج بواسطة المصدر " أن " في حين أن النقل تم مع تصرف متزايد في باقي الأمثلة حيث نقل المحمول من صيغة الأمر إلى صيغة المضارعة ثم من مقولة الفعل إلى مقولة الاسم المصدر. ونجد أعلى درجات التصرف في المثال ( 9 هـ).

ويمكن أن تؤول سلميتا الاستقلال/الإدماج والمحافظة/التصرف على أنهما ترصدان ابتعاداً متدرجاً من الذات الناقلة عن الخطاب الأصلي، ابتعاداً قد يفضي إلى صهر هذا الخطاب في خطاب النقل بل إلى محوه وطمس عملية النقل نفسها حيث نكون في النهاية أمام خطاب ابتدائي بين متكلم ومخاطب فحواه واقعة من الوقائع لا أمام خطاب فحواه خطاب آخر.

لنوضح الفروق بين وسائل نقل الخطاب في الترسيمة التالية على أن نعود إلى كيفية رصدها داخل نظرية النحو الوظيفي في الفصل الثالث<sup>(3)</sup>:

[ 10 ]



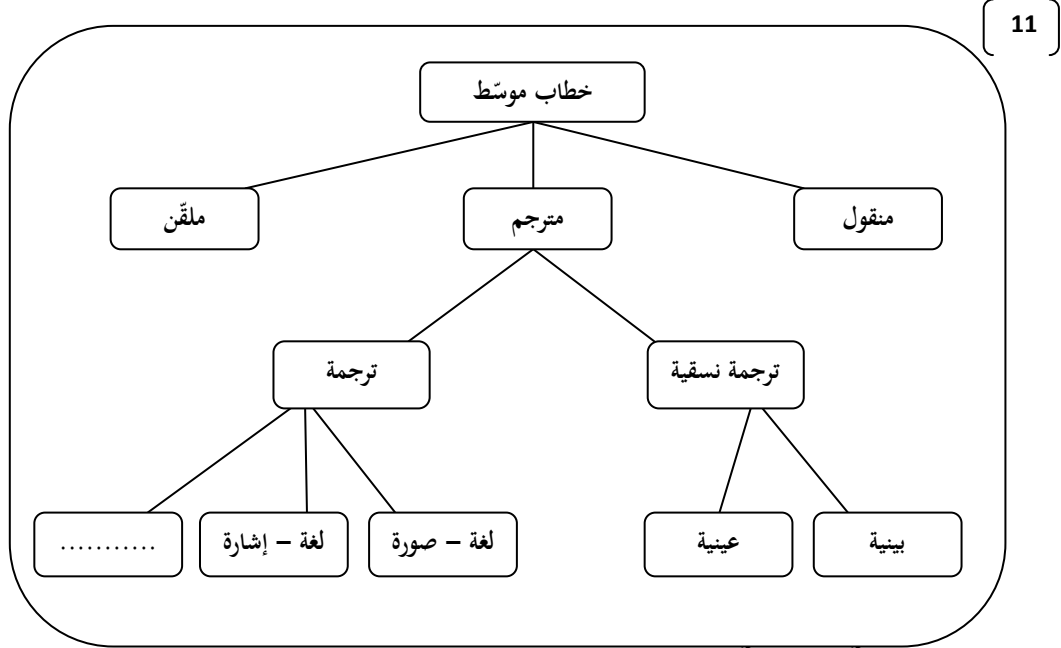
5. الم

يطلق مصطلح الترجمة عادة على كل عملية نقل (بصريه/اليه، فوريه/بعديه) لنصّ لغوي ما من لغة ما إلى لغة أخرى.

نُبقي هنا على نفس المصطلح لكن مع تعديلين اثنين: أولهما، تأطير الترجمة داخل ما أسميناه "الخطاب الموّسط" حيث توّاسر عمليتي النقل المحض والتلقين، وثانيهما توسيع مفهومها على النحو التالي:

(1) يمكن أن تتم عملية الترجمة داخل نفس النسق اللغوي ونسُميها "ترجمة نسقية" كما يمكن أن تتم بين نسقين توّاصليين مختلفين (لغة وصورة، لغة وإشارة...) ونسُميها "ترجمة أنساقية". أما الترجمة النسقية فيمكن أن تجرى بين لغتين أو داخل نفس اللغة. ونصطلح على تسمية الترجمة الأولى "ترجمة بينية" وعلى تسمية الترجمة الثانية "ترجمة عينية".

توضيح الترميز الذي نقرحه في الترسمة (11):



### 1.5. الترجمة النسقية

إذا ما نحن تبنينا، بالنسبة إلى الحقل اللغوي العربي، أطروحة أن العريبات الدوارج ليست لغات مستقلة بل "مستويات لغوية" تختلف من حيث وظائفها ومن حيث مجالات استعمالها عن العريبتين الفصحى والفصيحة، أصبح من الممكن أن نميز داخل خانة الترجمة البيئية بين الترجمة التي تتم بين لغتين مختلفتين والترجمة التي تقوم بين مستويين لغويين داخل نفس اللغة.

#### 1.1.5. الترجمة النسقية البيئية

أشهر أنواع الترجمة النسقية البيئية مفهوما وممارسة الترجمة التي تتم من لغة إلى لغة، من العربية مثلا إلى لغة أخرى أو من لغة أخرى إلى العربية. ولعل من الوارد هنا أن نميز بين ترجمتين: الترجمة داخل التنامط والترجمة خارج التنامط. نقصد بالترجمة الأولى الترجمة التي تتم بين لغتين منتميتين إلى نمط لغوي واحد وبالترجمة الثانية الترجمة الحاصلة بين لغتين من نمطين لغويين مختلفين.

اقترحنا في مكان آخر (المتوكل ( 2003 ) (2005)) تنميطة للغات قوامه أن اللغات البشرية تتدرج في متوالية قطباها نمطان لغويان رئيسان: اللغات الموجهة تداوليا و اللغات الموجهة دلاليا، اللغات التي تغلب التداول على الدلالة و اللغات التي تغلب الدلالة على التداول.

في نفس الاتجاه تقريبا، يمكن اقتراح تنميطة للغات يقوم على ما اصطلح على تسميته في نظرية النحو الوظيفي، وفي نموذج نحو الخطاب الوظيفي على وجه التحديد (هنخفاد وماكنزي ( 2008 ))، "مبدأ الانعكاس البنوي". ويتعلق هذا المبدأ

بكيفية تحقق البنيتين التحتيتين العلاقية (التداولية) والتمثيلية (الدالية) في مستوى البنية الصرفية-التركيبية.

في نيتنا، أن نفرد لهذا المبدأ المركزي دراسة خاصة تستكشف طرائق تحكمه في تنميط اللغات وفي تطورها إن في نفس النمط أو في نمط آخر.

في انتظار ذلك، نكتفي هنا بالإشارة إلى أن ثمة لغات تتوسل في تحقيق السمات التداولية بالتركيب (الترتيب تحديدا) وهي اللغات الإعرابية عامة كالعربية الفصحى ولغات تستخدم لهذا الغرض وسائل صرفية أكثر من استخدامها للوسائل التركيبية وهي اللغات ذات الرتبة المحفوظة كاللغتين الإنجليزية والفرنسية مثلا. ومن أبرز خصائص المجموعة الأولى من اللغات أنها شفافة تداوليا إذ إنها تفرد لتحقيق السمات التداولية حيزا في السطح مغايرا للحيز الذي تخصصه للسمات الدالية حيث إن السمات الأولى تحتل مجال ما قبل الرأس في حين تحتل السمات الثانية مجال ما بعد الرأس (المتوكل (2010)).

ما يبرر حديثنا هذا عن التناط هو أننا نتوقع أن يكون لثنائية "الترجمة داخل التناط/الترجمة خارج التناط" تأثير في عملية الترجمة ذاتها، أن تقتضي الترجمة خارج التناط آليات إضافية لا تتطلبها الترجمة داخل التناط وإن كانت الترجمتان كلتاهما تستخدمان نفس الجهاز كما سنرى. بل يصبح التناط شرطا من شروط تمام نجاح عملية الترجمة حين يتعلق الأمر بصنف الخطاب المراد ترجمته. فلا يسوغ أن نترجم مثلا خطابا علميا إلى خطاب غيره (شعريا كان أم سياسيا أم إشهاريا) كما لا يسوغ عكس ذلك.

لنمر الآن إلى الترجمة البينية التي يمكن أن تتم بين مستويين لغويين اثنين. بوجه عام، يمكن أن ننقل نصا ما من اللغة المعيار إلى إحدى اللغيات الاجتماعية أو الجغرافية داخل عشيرة لغوية معينة.

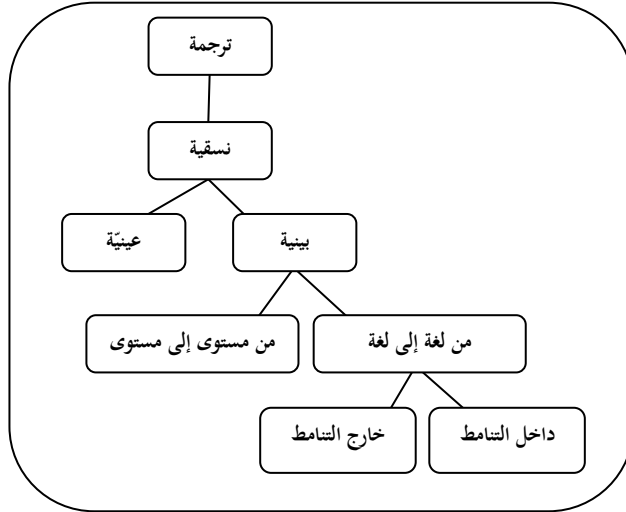
مثال ذلك أن ننقل نصا من اللغة الفرنسية المعيار (لغة باريس) إلى لغية شعبية أو إلى لغية إحدى مناطق فرنسا (لغية الجنوب، لغية الشرق...).

أما فيما يخص الحقل اللغوي العربي فنحن بين اثنين: إما أن نفترض أن الفرق بين العربيين الفصحى والفصيحة من جهة وبين العربيات الدوارج من جهة ثانية فرق نسقي حيث نكون أمام لغتين مختلفتين وإن تأسرتا سلاليا أو أن نفترض أن العربية الفصحى والعربية الفصيحة (المعاصرة) والعربيات الدوارج لا تعدو أن تكون مستويات لغوية داخل نفس النسق تختلف باختلاف مجال استعمالها ووظيفتها أو من حيث الموقع الجغرافي.

إذا ما نحن غضضنا الطرف عن التأسر السلالي وأخذنا بمعيار النمطية واعتبرنا أن العربيات الدوارج تنزع إلى الانتقال من نمط اللغات الإعرابية إلى نمط اللغات الترتيبية كان ذلك دعما للافتراض الأول. لكن إذا ما نحن انطلقنا من أن العلاقة التي تربط العربيات الدوارج بالعربيين الفصحى والفصيحة لا تناظر العلاقة القائمة بين اللغة اللاتينية وما انحدر منها من لغات (فرنسية، إسبانية، إيطالية، رومانية...) وأن الانتقال من دوارج العربية إلى فصيحها أو فصحاها أو العكس غير

الانتقال من اللاتينية إلى الفرنسية أو من الفرنسية إلى اللاتينية، توجب القول بأن العربيات الدوارج ليست إلا مستويات تنضوي تحت نفس النسق اللغوي شأنها في ذلك شأن العربيتين الفصحى والفصيحة وكأن المتكلم-السامع العربي يصدر في إنجازاته داخل هذه المستويات عن قدرة لغوية واحدة.

يمكن بناء على ورود الافتراض الثاني توضيح الترجمة النسقية البينية وما يتفرع عنها في الترسيمة (12):



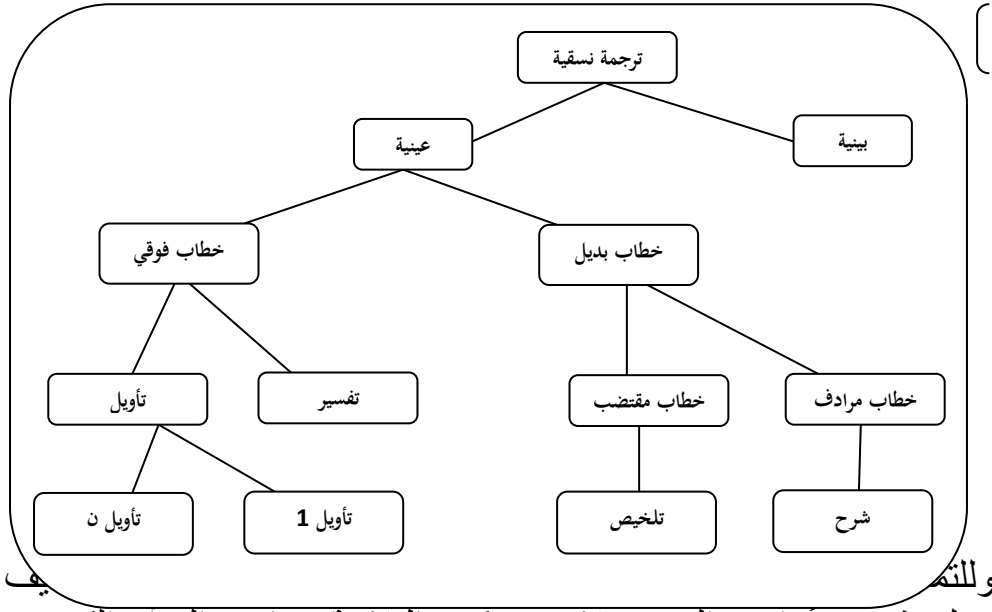
## 5.1.2. الترجمة النسقية العينية

أصبح الآن من الممكن تدقيق تعريف الترجمة النسقية العينية فنقول إنها العملية التي تنقل نصا ما إلى نص آخر من نفس المستوى اللغوي داخل نفس اللغة. ويمكن أن يصدق هذا التعريف على مجموعة من الممارسات أهمها ممارسات أربع هي: الشرح والتلخيص والتفسير والتأويل<sup>(4)</sup>. لكل من هذه الممارسات الأربع، كما هو معلوم، أدبياتها تستفيض في مختلف تعاريفها ومجالاتها (الفلسفية والأدبية والدينية وغيرها) وفي النقاش الذي دار حولها منذ أقدم العصور.

لسنا معنيين هنا بالدخول في هذه التفاصيل إذ حسبنا أن نقيم تمييزا بين خطابين رئيسين نصلح على تسميتهما "الخطاب البديل" و "الخطاب الفوقي". ونرى أنه من الوارد التمييز داخل الخطاب البديل بين ما يمكن تسميته "الخطاب المرادف" وما يمكن تسميته "الخطاب المقتضب". ونقصد بالخطاب الأول الخطاب الذي يستهدف شرح النص الأصلي شرحا يفترض فيه أنه أقرب إلى الفهم من النص الأصلي. والمقصود بالخطاب المقتضب الخطاب الذي يلخص النص الأصلي بإيراد فحواه موجزا.

أما المراد بالخطاب الفوقي هنا فهو خطاب عن خطاب يروم تفسيره أو تأويله. ويمكن أن يُرجع الفرق بين هاتين العمليتين إلى أن التفسير ربط للنص المفسر بظروف إنتاجه وبمؤلفه في حين أن التأويل إسقاط لسياق المؤلف ومعارفه وما يتوسل به من آليات التأويل على النص الأصلي إسقاطا منتهاه محو المؤلف وإحلال المؤلف محله.

ناتج هذا الفرق أن التفسير ينزع إلى التوحد لمحكوميته بالنص الأصلي وسياقه ومقاصد مؤلفه بينما تتعدد التأويل بتعدد المؤلفين. إذا نحن أطرنا الممارسات الأربع داخل سلمية الحياد/الإسقاط كانت حصيلة التمييز الذي نقترحه لما يمكن أن تفضي إليه الترجمة العينية الحصيلة المبينة في الترسمة التالية:



واللغة العربية، على شروح أراجيز النحو وتلاخيص كتب البلاغة وتفسير القرآن الكريم وما اقترحته مختلف اتجاهات تأويل النصوص الأدبية في العصر الحديث على أن تعود إلى المقاربة الوظيفية لها في الفصل الثالث.

## 2.5. الترجمة الأنساقية

سبق أن أشرنا إلى أن للتواصل قنوات أخرى غير اللغة وإن كانت اللغة أكمل قنوات التواصل وأنجحها. أما القنوات غير اللغوية فهي إما مرئية أو مسموعة. ومن المرئية ما يقوم بدور الدعم في التواصل اللغوي كالحركات وتعابير الوجه ومنها ما يشكل نسقا متكاملًا قائم الذات كإشارات الصم-البكم وإشارات المرور والرقص واللوحات الفنية وملصقات الإشهار. ومن المسموعة الأصوات الدالة كأصوات الإنذار. وأهم القنوات المسموعة القطع الموسيقية حيث لكل "مقام" (رست، سيكا، نهاوند، بياتي...) ولكل إيقاع (سريع، بطيء...) معناه ووظيفته.

كثيرا ما يتحدث الشعراء والفنانون التشكيليون والنقاد عن التناظر القائم بين مختلف الأنساق التعبيرية. أهم ما يوحي به هذا التناظر إمكان التناقل بين هذه الأنساق وإمكان ترجمة بعضها إلى بعض. من شواهد ذلك ما سمعناه في الأيام الأخيرة أثناء استجواب أحد الفنانين التشكيليين المغاربة الذي قدم لوحاته وما استخدمه فيها من وسائل التعبير على أساس أنها "ترجمات" لبعض قصائد الشاعر الفرنسي شارل بودلير.

ولعل أهم الترجمات الأنساقية وأكثرها تداولًا وممارسة ما يتم بين اللغة والنسق الإشاري المعتمد في تعبير الصم-البكم.

سؤال يفرض نفسه (وأسئلة أخرى تلازمه) هو السؤال التالي: كيف يتأتى المرور بين هذه الأنساق المتباينة؟ كيف يتم العبور من خطاب لغوي مثلا إلى خطاب إشاري؟ سؤال نحاول الإجابة عنه في الفصل الثالث من هذا البحث.

## 6. الخطاب الموسَّط الملقَّن

قد تختفي علاقة تعليم اللغات بعمليتي النقل المحض والترجمة المعروض لهما في الفقرات السابقة. لكنها تتضح حين ينظر إليه على أنه نمط من أنماط التواصل الموسَّط.

دون الخوض في أدبيات علم التربية وما تحفل به من اتجاهات ومدارس، يمكن أن نميز هنا بين مقاربتين اثنتين نصلح على تسميتهما " التعليم المباشر " و" التعليم الموسَّط ".

(1) يتم تعليم لغة ما (لغة ثانية إلى جانب اللغة الأولى المكتسبة) بدءا من داخل هذه اللغة نفسها حسب المقاربة الأولى.

ومن المزاعم التي تدعم بها هذه المقاربة تمكينها من تلافي تداخل اللغة المتعلِّمة واللغة المكتسبة.

(2) أما حسب المقاربة الثانية التي نتبناها هنا بعد دفاعنا عنها في مكان آخر (المتوكل (2002)) فإن تعليم اللغة الثانية يتم مرورا باللغة الأولى. قوام هذه المقاربة مبدآن:

(أ) أن ما يعرض على المتعلم ليس بنيات صرفية-تركيبية مجردة بل وظائف (كالمحورة، والتبئير، والتقوية، والتقليل، وغيرها) تقابلها بنيات من اللغتين الأولى والثانية؛

(ب) أن المرور من اللغة الأولى إلى اللغة الثانية يتم عبر الوظيفة لا من بنيات أحداها إلى بنيات الأخرى بطريق مباشر وهو الأمر الذي يمكن بالفعل من تلافي التداخل غير المرغوب فيه.

من المبررات التي يمكن أن نقدمها دعما لهذه المقاربة المبررات التالية:

أولا، يسهل تعلم اللغة الانتقال بين قدرتين لغويتين تحكمهما ملكة لسانية واحدة وتربطهما كليات لسانية متقاسمة. ويتنامى يسر التعلم حين تكون اللغة الثانية من نمط اللغة الأولى أو حين يتم الانتقال داخل نفس القدرة كما يحصل أثناء تعلم المغربي أو المصري أو الشامي أو الخليجي للعربية الفصيحة أو العربية الفصحى؛

ثانيا، لا يتيح المرور عبر اللغة الأولى تعلم لغة ثانية فحسب بل يمنح كذلك إمكان المقارنة بين اللغتين من حيث وجوه الائتلاف ووجوه الاختلاف والانتقال السريع والسليم من إحداها إلى الأخرى؛

ثالثا، يوافق تعلم اللغة الثانية عبر الوظيفة اكتساب اللغة الأولى باعتبار أن الطفل يكتسب الوظائف التواصلية قبل أن يكتسب وسائل تأديتها والتعبير عنها.

## خلاصة:

الخطاب من حيث طريقة التواصل خطابان: خطاب مباشر سليم ناجح أو مضطرب لعارض أو مرض وخطاب موسّط.

لا تنحصر الترجمة في الانتقال من لغة إلى لغة أو من مستوى إلى مستوى آخر داخل نفس النسق بل يمكن أن يتم داخل نفس المستوى من نفس اللغة فتتدرج من حيث حياد الناقل من الشرح والتلخيص إلى التفسير والتأويل. كما يمكن أن تُجرى بين أنساق تواصلية مختلفة الطبيعة، لغوية وغير لغوية.

ليست الترجمة في هذا المنظور إلا نمطاً من أنماط الخطاب الموسّط تتعالق في إطاره وأنماطاً أخرى كالخطاب المنقول والخطاب الملقّن.

يتيح توسيع مفهوم الترجمة بهذا الشكل الكشف عن علاقات دالة بين ممارسات ظلت وتظل في أذهان ممارسيها ودارسيها متباينة لا يجمع بينها جامع. ويستلزم هذا التوحيد في المجال منطقيّاً ومعرفيّاً توحيداً في المقاربة منهجاً وآلياتٍ وذلك ما سنجتهد في تبيانه والدفاع عنه في الفصلين المواليين.

## الهوامش

- (1) انظر المتوكل (2003) و (2006)
- (2) يمكن أن يكون الخطاب المنقول من نفس لغة الخطاب الناقل كما في الأمثلة (9 أ-هـ) أو من لغة أخرى كما هو الشأن في المثال التالي:
  - قالت هند لسعاد : "Go out"
  - إلا أن ذلك لا يسوغ إلا إذا كان الخطاب المنقول مستقلا غير مدمج.
  - \* قالت هند لسعاد أن Go out
- (3) ظاهرة تدرج الخطاب المنقول من الاستقلال إلى الصهر هي ما يسميه هنخفلد وماكنزي (هنخفلد وماكنزي (2008)) "التنازل الدركي" (De-ranking)
- (4) جرت العادة على أن تتم هذه العمليات الأربع داخل نفس اللغة إلا أن هذا لا يمنع من أن تتم من لغة إلى لغة أخرى.

الفصل الثاني  
المنهج  
من التنظير إلى الإجراء

## الفصل الثاني

### المنهج

### من التنظير إلى الإجراء

#### 0. مدخل:

لمقاربة المجال الذي حددناه في الفصل السابق بتوسيع مفهوم الترجمة وإدراجها في إطار أعم، إطار الخطاب الموسع، نقترح منهجاً وظيفياً ننطلق فيه من ثلاثة منطلقات أساسية هي الوظيفة دوراً وعلاقة وجسر عبور والكليات اللسانية التي تشكّل القاسم المشترك بين اللغات والتنميط الوظيفي-البنوي الذي يرصد وجوه الائتلاف ووجوه الاختلاف بين اللغات وبين الخطابات على حد سواء ونستهدف فيه الخروج من تعدّد "النظريات القطاعية" إلى نظرية لسانية وظيفية واحدة ترقى إلى قدر معقول من إحراز "كفاية الإجراء" إلى جانب كفايتي الوصف والتفسير هي نظرية النحو الوظيفي في أحدث ما أفرزته من نماذج.

#### 1. المنطلق

للنظريات اللسانية ذات التوجّه الوظيفي (في مقابل النظريات اللسانية "الصورية") مرتكزات منهجية تؤسّس لربط بنية اللغات الطبيعية بوظيفتها الرئيسية باعتبارها أدوات للتواصل داخل المجتمعات البشرية. وقد حصرناها في مكان آخر (المتوكل (2006 مثلاً)) في عشرة مرتكزات نفحص منها هنا ما نعهده وارداً بالنسبة للترجمة والخطاب الموسّط بوجه عام.

#### 1.1. الوظيفة

ورود مفهوم الوظيفة بالنسبة لمقاربة الخطاب الموسّط من ثلاثة وجوه: الوظيفة الدور والوظيفة العلاقة والوظيفة جسر العبور.

#### 1.1.1. الوظيفة دوراً

نقصد بالوظيفة الدور وظيفة التواصل الذي تتيحه اللغات الطبيعية إلى جانب أنساق تواصلية أخرى.

وقد عدّد ياكبسون (ياكبسون (1966)) وظائف اللغة فجعلها ست وظائف هي كما هو معلوم الوظيفة المرجعية والوظيفة التعبيرية والوظيفة التأثيرية والوظيفة الشعرية والوظيفة السحرية والوظيفة الميتا-لغوية. وفي نفس اتجاه التعدد، ميّز

هاليداي (هاليداي (1970)) بين ثلاث وظائف للغة هي الوظيفة التمثيلية والوظيفة التعالقية والوظيفة النصية. وقد استدللنا في مكان آخر (المتوكل (2005)) على إمكان إرجاع الوظائف الممكن التمييز بينها إلى وظيفة أساسية هي وظيفة التواصل وعدّ ما عداها إما وظائف فرعية أو مجرد أنماط خطابية.

تنعكس وظيفة التواصل في بنية اللغة إلى حد بعيد حيث يمكن القول إن للغة هذه البنية لأنها تقوم بهذه الوظائف كما للقلب البنية التي ينفرد بها عن باقي أعضاء الجسم لكونه يقوم بوظيفة ضخ الدم كما يمكن القول إن بنية اللغة كانت ستكون بنية مغايرة لو كانت للغة وظيفة غير وظيفة التواصل.

إن هذا التوحد في وظيفة اللغات المنعكس في بنيتها أهم جامع يجمع بينها ويقرب بعضها من بعض ويتيح بالتالي الانتقال بينها مهما اختلفت وتباينت. هو ما يجعل الترجمة ممكنة بين اللغات وبينها وبين مختلف أنساق التواصل المتاحة. وما كان لهذه العملية لتتأتى لو تعددت الوظائف وتعددت معها البنيات بتعدد اللغات.

### 1.1.2. الوظيفة علاقة

يطلق مصطلح الوظيفة كذلك على العلاقة التي يمكن أن تقوم بين عناصر الجملة الواحدة أو بين الجملة داخل نفس النص أو بين النصوص التي ينتظمها الخطاب الواحد. والوظائف العلاقات من حيث طبيعتها ومجالها أربعة أصناف: وظائف دلالية أو وظائف المنفذ والمتقبل والمستقبل (بكسر الباء) والأداة والمكان والزمان والمصاحب والعلة وغيرها ووظائف وجهية (بكسر الواو) تنحصر في النظرية التي نتبناها في وظيفتين اثنتين فاعل ومفعول ووظائف تداولية ترد إلى أصليين محور وبؤرة وأخيرا وظائف بلاغية تقوم بين أفعال خطابية داخل نفس الخطاب.

نمثل لأصناف الوظائف الثلاثة الأولى بالعلاقات القائمة بين مكونات الجملة التالية:

(1) هندا قابل خالد في المقهى هذا الصباح  
لكل من عناصر هذه الجملة وظيفة دلالية حيث " خالد " منفذ و " هندا " متقبل و " في المقهى " مكان و " هذا الصباح " زمان.

ومن منظور الوجهة يأخذ المكونان المنفذ والمتقبل وظيفتي الفاعل والمفعول على التوالي، أما من حيث ما يمليه الموقف التواصلية (السياق المقامي/المقالي) فإن المنفذ/الفاعل محور معطى والمتقبل/المفعول بؤرة مقابلة باعتبار أن الجملة (1) رد تصحيحي على الجملة (2):

(2) قابل خالد فاطمة في المقهى هذا الصباح  
على هذا الأساس تكون البنية المبسطة للجملة (1) البنية (3):  
(3) هندا (متق مفع بؤرة) قابل خالد (منف فاع محور) في المقهى (مكان) هذا الصباح (زمان)

ولنأخذ مثلا للوظائف البلاغية الجملتين المتوارديتين في النص التالي:

(4) لَتَعُدُّ هُنْدُ إِلَى الْبَيْتِ فَيَسْعَدُ الْكُلُّ (بنصب يسعد)

يتضمن هذا النص فعلين خطابيين قوتاهما الإنجازيتان أمر وإخبار. من حيث العلاقة بين الفعلين الخطابيين يقوم الفعل الخطابى الثانى من الفعل الخطابى الأول مقام التابع ويأخذ بذلك الوظيفة البلاغية "النتيجة" ويؤشر لعلاقة التبعية هذه نصبُ الفعل " يسعد". وترتفع هذه العلاقة في النص ( 5) حيث الإعلان الخطابيان إعلان خطابيان "نويان" مستقلان لا تبعية بينهما ولا ورود، بالتالى، لأية وظيفة بلاغية:

(5) لتعد هند إلى البيت. فيسعدُ الكلُّ (برفع يسعد)

ليس ما قلناه هنا إلا تذكيراً بأنواع الوظائف-العلاقات وتمهيداً للحديث عن أهم جوانب هذه الوظائف بالنظر إلى موضوع الترجمة. تعد الوظائف في الأطر النظرية ذات التوجه الصوري، كما هو معلوم، علاقات " مشتقة" ناتجة عن مواقع المكونات داخل الجملة. ففي هذه الفئة من النظريات، تسند وظيفة البؤرة إلى المكون "هندا" في الجملة (1) على سبيل المثال بناء على احتلاله الموقع المتقدم على موقع الفعل كما يسند إليه النبر المركزي لنفس الداعي.

أما في النظريات الموجهة وظيفياً، كنظرية النحو الوظيفي، فإن نفس الوظائف تعامل على أساس أنها وظائف "أولى" تسند إلى عناصر الجملة بدءاً وفي استقلال تام عن خصائصها الصرفية-التركيبية والنبرية بل إن هذه الخصائص هي التي تعدّ تابعة وتحدّد على أساس تبعيتها للوظائف. مثال ذلك أن وظيفة البؤرة تسند إلى المكون "هندا" في الجملة وينتج عن هذا الإسناد إحلال هذا المكون محل الصدر وعنه كذلك استقطابه النبر المركزي. ويترتب عن هذا الاختلاف في التصور اختلاف بين في التمثيل لهذه الوظائف داخل جهاز النحو بين تمثيل سطحي وتمثيل تحتي كما سيوضح لنا من خلال الفقرة التالية:

### 1.1.3. الوظيفة جسر عبور

يُجمع ممارسو الترجمة ودارسوها على السواء على أن هذه العملية يجب أن تتم لا في مستوى "اللفظ" بل في مستوى "المعنى".

إذا ما تبيننا هذا المبدأ ووضعناه في إطار النظريات اللسانية الحديثة أمكن صوغه في شكل السؤال التالي: أي مستوى من مستويات التمثيل داخل "نظرية لسانية" ما يمكن أن يشكّل جسر العبور الملائم المتيح لترجمة ناجحة من لغة إلى أخرى؟

1- قد يكون من الممكن نقل نص ما من لغة إلى لغة أخرى في مستوى البنية السطحية عن طريق استنساخ الإطار الصرفي-التركيبى للنص المصدر مع إدماج مفردات "اللغة الهدف" فيه. ويتأتى ذلك على الخصوص بين لغتين متنامطتين متناظرتين من حيث الصرف والتركيب.

من أمثلة ذلك إمكان استنساخ الجملة الفرنسية ( 6) إلى الجملة الانجليزية

(7):

(6) C' est Marie que j'ai rencontrée

(7) It was Mary that I met

ما يتيح الانتقال من الجملة الفرنسية إلى الجملة الانجليزية توافر ما يسمى "التركيب المفصول" في كلتا اللغتين. هذا الضرب من التراكيب ينتج كما هو معلوم عن استخدام اليتين اثنتين:

أولاً، تقديم المكون (المروم تبئيره)

وثانياً، وضعه بين عنصري الصرفة المتقطعة " c'est...qu " / "it is ... " . "that

ويمتتع في اللغة الفرنسية على الخصوص، أن يصدر المكون البؤرة دون هذه الصرفة بخلاف ما نجده حاصلًا في اللغة العربية كما هو الشأن في المثال (1) المعاد سوقه للتذكير والذي يفضي استنساخه إلى اللغة الفرنسية إلى الجملة اللاحقة (8):

(1) هنداً قابل خالد في المقهى هذا الصباح

(8) \* Hind khalid a rencontrée au café ce matin

ويُرفع اللحن عن الجملة (8) إذا ما استكملت آية الفصل وأصبحت الجملة

(9):

(9) C 'est Hind que Khalid a rencontrée au café ce matin

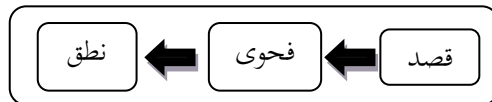
2- يؤدي امتناع الترجمة السطحية -أو عسرها على الأقل- إلى الانتقال إلى مستوى آخر واتخاذ جسر عبور من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف. وأنسب المستويات لتأدية هذا الدور هو مستوى البنية التحتية.

أهم ما يبرر اعتماد البنية التحتية في عملية الترجمة عوضاً عن البنية السطحية أن البنية الأولى تشكل المستوى الذي يفترض أن يكون مستوى التمثيل لما يجمع بين اللغات، للسّمات التي تتقاسمها اللغات، في حين أن البنية الثانية تتخذ مستوى للتمثيل للسّمات التي تخص كل لغة<sup>(1)</sup>.

يُشترط في البنية التحتية الكفيلة بإنجاح عملية الترجمة شرطان أساسيان يتعلق أولهما بطبيعة هذه البنية وثانيهما بنوع السمات التي يجب أن يمثل لها فيها: (أ) لكي يستجاب لمبدأ أن البنية التحتية محط التمثيل لما تتقاسمه اللغات ولكي يتلافى ما تفضي إليه الترجمة السطحية، يتوجب أن تمثل هذه البنية للمعنى "بالمفهوم الواسع" لا للصرف والتركيب.

(ب) ليس التمثيل للمعنى مقصوراً على الدلالة بل يشمل التداول أيضاً. بتعبير آخر، يجب أن يمثل في البنية التحتية لا للفحوى فحسب بل كذلك للقصد وفقاً للتصور المعتمد في أحدث نماذج نظرية النحو الوظيفي الذي يرجح إنتاج أي خطاب إلى ثلاث مراحل هي القصد والفحوى والنطق كما يتبين من الترسمة التالية:

**(10) إنتاج الخطاب:**



ويمكن إرجاع الخصائص التداولية الوارد التمثيل لها في مستوى البنية التحتية إلى أربع فئات: القوى الإنجازية (خبر، استفهام، أمر، وعد، وعيد، إنكار...) والسمات الوجهية (بفتح الواو) كالتقوية والتقليل والسمات الإحالية (معرّف/منكّر، مطلق/مقيد، عام/خاص) والوظائف التداولية والبلاغية.

لنأخذ الجملة (11) مثالا للتقريب من هذه الخصائص:

(11) ألبنأ قد شرب الطفل؟

تواكب هذه الجملة القوى الإنجازية الاستفهام (وبالتحديد السؤال على أساس أن منتجها يطلب معلومة ليست لديه لا الإنكار أو غيره). ويحمل المكونان الفاعل والمفعول وظيفتي المحور والبؤرة على التوالي. ويتسم الفعل بسمة التقوية (التوكيد) تتحقق بواسطة الأداة "قَد". أما السمات الإحالية فهي "العموم" و"التنكير" بالنسبة إلى المكون المفعول وسمات "الخصوص" و"التعريف" والتقييد بالنسبة للمكون الفاعل.

على هذا الأساس تكون البنية التحتية للجملة ( 11 ) في شقها التداولي، البنية المبسطة (12):

(12) [سهـ] [(تقوية < شرب) (<ع> <خ> <مق> طفل) مح (<عم> <نك> لبن) بؤ]]

حيث: سهـ = استفهام، ع = معرّف، خ = خاص، مق = مقيد، نك = نكرة، مح = محور، بؤ = بؤرة.

يستشف من هذا التحليل التداولي للجملة ( 11 ) أن الخصائص التداولية تقتضي ربطها بمقام التواصل الذي يجعل من القوة سؤالاً لا غيره، ومن البؤرة بؤرة مقابلة (لا بؤرة جديد) ومن الوجه<sup>(2)</sup> تقوية لا تقييلاً (أو غيره) كما يحدد نوع الإحالة. لنسمّ المقام التواصل "سياقاً" ولنميز داخله بين ثلاثة أنواع: سياق مقامي، يحدد عناصر موقف تواصل معين، وسياق مقالي يضع الخطاب في إطار ما يسبقه وما يتلوه، وسياق عام يرصد محددات المحيط الاجتماعي والثقافي الذي يشكل خلفية لإنتاج الخطاب وفهمه.

إن جدوى التمثيل للخصائص التداولية في البنية التحتية وربطها بسياق إنتاج الخطاب يمكن من إحراز المزايا الأساسية التالية:

**أولاً**، يتيح الوصول إلى تمام الترجمة حيث يكفل نقل الخطاب الأصلي فحوى ومقاصد؛

**ثانياً**، يضمن نقل الحمولة الثقافية للخطاب فيمكن بذلك من مجاوزة التمييز بين ما يسمى "الترجمة اللغوية" وما ينعت بـ"الترجمة الثقافية" وتحييده داخل عملية نقل واحدة؛

**ثالثاً**، في نفس الاتجاه يمكن المتعلم من ولوج ثقافة اللغة التي يتعلمها (اللغة الثانية) إلى جانب اكتساب معجمها وصرفها وتركيبها والقواعد التي تحكم استعمالاتها؛

رابعاً، يمدّ المفسّر بما يلزمه من محددات تشكل خلفية الخطاب المروم تفسيره؛

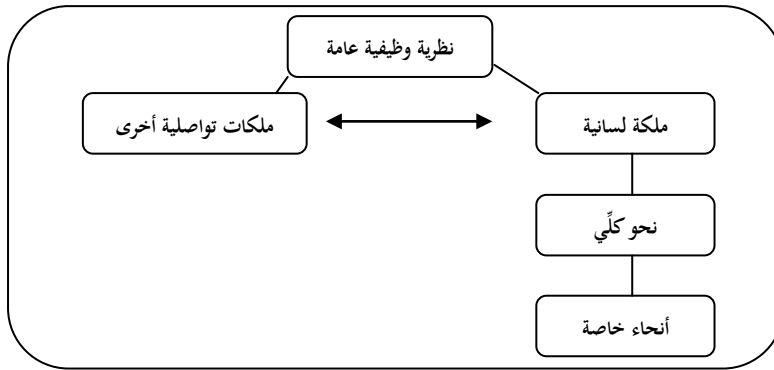
خامساً، يسمح برصد الفرق بين التفسير والتأويل كما يسمح برصد درجات التأويل نفسه من التأويل المحافظ على سياق إنتاج الخطاب المؤول (أو بعضه) إلى التأويل الطامس له المُحلّ محله سياق المؤول.

## 1.2. الكليات اللغوية

يفطر الإنسان على ملكة لسانية تخص جنسه وهي مجموعة من المبادئ تمكنه من اكتساب أي لغة من اللغات الطبيعية. من المنظور الوظيفي (دك ( 1997) والمتوكل ( 2003) و( 2006)) تتعلق هذه المبادئ العامة لا ببنيات (صرفية- تركيبية) مجردة بل ببنيات مرتبطة بالوظائف التواصلية التي تسخر لتأديتها. بتعبير آخر، تمكّن مبادئ الملكة اللسانية من اكتساب صيغ الخبر والاستفهام والأمر وغيرها وتراكيب الفصل أو شبهه والتصدير والزحلفة على أساس أنها صيغ وتراكيب تؤدي أغراضا تواصلية معينة.

هذه الخلفية الفطرية لا تتيح اكتساب لغة أولى بمعونة محيطه اللغوي فحسب بل تمكن كذلك من تعلّم لغة ثانية. ويتم ذلك عن طريق الانتقال من قدرة لغوية إلى قدرة لغوية أخرى في إطار نفس المبادئ العامة أو من مستوى لغوي إلى مستوى لغوي آخر داخل نفس القدرة اللغوية كما يحصل أثناء تعلم العربية الفصيحة مثلا مرورا بإحدى الدوارج. ولهذه الخلفية الفطرية نفس الدور في عملية الترجمة إذ إن الترجمة نقل لإنجاز معين إلى إنجاز بديل داخل قدرتين لغويتين (ترجمة بينية) أويتين إلى نفس المبادئ الكلية.

نختم هذا المبحث المقتضب في الكليات اللغوية بالقول بأنه من الممكن اقتراض ملكة تواصلية تشمل كل أنساق التواصل بما فيها نسق اللغة لتأطير هذا الافتراض، اقترحنا في مكان آخر (المتوكل ( 2003)) إقامة "نظرية وظيفية عامة" تجمع بين أنساق التواصل المختلفة وتحكمها توضحها الترسيمة(13):



مما تنتيحه هذه النظرية الوظيفية العامة وَصُلُّ الملكة اللسانية بباقي ملكات التواصل وتفسير إمكان ما أسميناه "الترجمة الأنساقية" أي الانتقال من نسق لغوي إلى نسق آخر أو العكس.

### 1.3. التتميط

نعرض هنا لتتميطين؛ تتميط اللغات وتتميط الخطابات، كما نتطرق إلى علاقتهما بعملية الترجمة (والخطاب الموسّط بوجه عام).

#### 1.3.1. تتميط اللغات

تختلف التتميطات اللغوية المقترحة باختلاف المعايير المعتمدة وهي: الرتبة والتغليب والانعكاس.

#### 1.1.3.1. الرتبة

كان أساس تصنيف اللغات في ما سمي "اللسانيّات النّمطية"، كما هو معلوم، ترتيب المكونات الفعل والفاعل والمفعول داخل الجملة.

انطلاقاً من هذا المعيار، أرجعت اللغات إلى زمر أهمها اللغات التي تقدم الفعل واللغات التي تؤخره واللغات التي تقدم الفاعل على الفعل والمفعول. من الزمرة الأولى اللغتان العربيتان الفصحى والفصيحة ومن الزمرتين الثانيةين اللغة اليابانية في حين تنتمي اللغتان الانجليزية والفرنسية إلى الزمرة الثالثة.

في تتميط اللغات وفقاً لترتيب المكونات مجاوزة التتميط السّلالي إذ يمكن أن يخرج لغة ما من فصيلتها السّلالية ويديرها في فصيلة أخرى. مثال ذلك ما يحصل في التنامط الرّتبي بين اللغات المنحدرة من اللاتينية ولغات ذات أصل مختلف. ويمكن أن نعدّ مثلاً لذلك أيضاً نزوع العربيات الدّوارج إلى الانتقال من الرتبة: فعل-فاعل-مفعول إلى الرتبة: فاعل-فعل - مفعول كما يمكن أن يستخلص من المقارنة بين الجملتين (14 أ-ب):

(14) دارجة مغربية

أ- علي شرب قهوة

ب-؟؟ شرب علي قهوة

### 1.3.1.2. التخليب

اقترحنا في مكان آخر (المتوكل ( 2003 )) تنميطة من نوع آخر اعتمدنا فيه معيارا مدى تغليب اللغات للتداول على الدلالة أو العكس.

أفضى الانطلاق من هذا المعيار إلى إقامة متوالية نمطية قطباها اللغات الموجهة تداوليا واللغات الموجهة دلاليا كما تبين ذلك الترسيمة (15):

(15) لغات موجهة تداوليا ..... ← لغات موجهة دلاليا

تنتمي إلى النمط الأول اللغات الإعرابية الغنية صرفيا كاللغة اللاتينية واللغتين العربيتين الفصحى والفصيحة في حين تدرج في النمط الثاني اللغات التي فقدت الإعراب ورصدت الرتبة للتأشير إلى الوظائف التركيبية كاللغات المتفرعة عن اللاتينية والدوارج العربية، إذا ما عدت لغات قائمة الذات لا مجرد مستويات لغوية داخل النسق اللغوي العربي العام.

ويلاحظ أن تطور اللغات يسير بوجه عام في اتجاه الانتقال من نمط اللغات الموجهة تداوليا نحو اللغات الموجهة دلاليا لا العكس، كما يدل على ذلك تطور اللغات الأنف ذكرها.

مما يمكن أن يلاحظ على معياري الرتبة والتخليب أنهما يؤديان إلى تنميطة أحادي الجانب، تنميطة يعنى بجانب واحد من جوانب بنية اللغة ككل دون الجوانب الأخرى.

ما يكفل التنميطة الكافي للغات هو ما يجمع بين كل الجوانب، التداولية والدلالية والصرفية-التركيبية ويربط بينهما ربط تُعامل فيه الخصائص الصرفية-التركيبية على أساس أنها وسائل لتحقيق كل من الخصائص التداولية والدلالية. مثل هذا التنميطة هو ما نعرض له في الفقرة الموالية.

### 1.3.1.3. الانعكاس

من أهم مبادئ نموذج نحو الخطاب الوظيفي (هنخفلا وماكنزي ( 2008 )) "مبدأ الانعكاس" وهو المبدأ الضابط لمسطرة نقل البنية التحتية للخطاب بشقيها التداولي والدلالي إلى بنية صرفية-تركيبية وبنية فونولوجية (نبرية تنغيمية بالخصوص).

نعرض في هذا المبحث لأهم معالم الانعكاسين التداولي والدلالي محيلين القارئ على ما أوردناه في هذا الباب بالنظر إلى اللغة العربية في بحثين سابقين (المتوكل (2005) و(2006)).

### 1.3.1.3.1 الانعكاس التداولي

الخصائص التداولية التي تنعكس في البنيتين الصرفية-التركيبية والفونولوجية سمات (إنجازية ووجهية وإحالية) ووظائف (تداولية وبلاغية). وتختلف اللغات في الوسائل المستخدمة في تحقيق هذه السمات والوظائف.

1- لتحقيق القوى الإنجازية التي تواكب الجملة تستخدم لغات أدوات مخصوصة كأداتي الاستفهام "هل" و"الهمزة" وأداة الإنكار "أو" وأداتي العرض والتحضيض "ألا" و"هلا" كما هو الشأن في اللغة العربية. وتسخر لغات أخرى لنفس الغرض صرفات وأفعالاً مساعدة أو تتوسل في ذلك بمجرد التنغيم أو تترك هذه المهمة للسياق وحده مميزة بذلك بين القوى الإنجازية الأصول والقوى الإنجازية المستلزمة مقامياً (المتوكل (2010)).

2- من السمات الوجهية سمة التعجب التي يمكن أن تنصب على فعل خطابي كامل أو على أحد مكوناته (المتوكل (1995), (2004) والزهري (2009)).

تتقاسم اللغات في هذا الباب خاصية التأشير لسمة التعجب بتنغيم مخصوص مع نبر المكون المتعجب منه وتختلف في الوسائل الصرفية-التركيبية إذ منها ما يتوسل بصرفات (الانجليزية والفرنسية) ومنها ما يتوسل بصيغ محمولية كاللغة العربية كما هو معلوم<sup>(3)</sup>.

3- ومن السمات الإحالية السمات الإشارية التي تختلف اللغات في تحقيقها من حيث قرب أو بُعد المشار إليه بالنظر إلى المركز الإشاري (المتكلم والمخاطب ومكان وزمان التخاطب) ومن حيث اقتران الإشارة بأداة التعريف أو عدم اقترانها بها ومن حيث موقع الإشارة بالنظر إلى رأس المركب (المتوكل (2010)).

من خصائص اللغة العربية وجوب اقتران الإشارة بأداة التعريف:

(16) أ- قابلت هذا الرجل

ب- \* قابلت هذا رجلاً

ومن خصائصها كذلك إمكان تقدم الإشارة على الاسم الرأس كما في الجملة (16 أ) وتأخرها عنه (حين يراد تبئيرها):

(17) قابلت الرجل هذا

4- الوظائف المؤشر لها في الشق التداولي من البنية التحتية ووظائف تداولية (محور وبؤرة) ووظائف بلاغية مسندة إلى أفعال خطابية كاملة.

(أ) بالنظر إلى تحقيق الوظائف التداولية تتوسل لغات بالصرف كاللغة

اليابانية حيث تلحق بالمكونات المسندة إليها هذه الوظائف لواصل مخصوصة وتسخر لغات رتبة المكونات داخل الجملة لبلوغ نفس الغرض كاللغة العربية مثلاً. في حين تجمع لغات أخرى بين الصرف والرتبة كاللغتين الانجليزية والفرنسية.

والملاحظ أن الفئتين الثانية والثالثة من اللغات تخصص للمكونات المحاور

والبؤر الحيز الصدر من الجملة كما هو الشأن في الجمل (1) و(6) و(7) المعاد سوقها هنا للتذكير:

(1) هندا قابل خالد في المقهى هذا الصباح

(6) C' est Marie que j'ai rencontrée

(7) It was Mary that I met

(ب) تتحقق العلاقات بين الأفعال الخطابية في اللغات غير الإعرابية بواسطة التنغيم، في شكل وقف قصير حين يكون الفعلان الخطابيان تابعاً أحدهما للآخر ووقف ممتد حين لا تبعية بينهما. مثال ذلك النصان التاليان:

(18) a- John met Mary but he did not give her the book

b- John met Mary. But he did not give her the book

أما اللغة العربية (وربما اللغات الإعرابية بوجه عام) فقد استدللنا في مكان آخر (المتوكل (2007) و(2009)) على أن إعرابي الرفع والنصب يقومان فيها بدور التأشير لعلاقتي الاستقلال والتبعية على التوالي إن في مجال الجملة أو في مجال نص كامل. من الأمثلة التي سقناها في هذا الباب التراكيب العطفية المتوسل فيها بأداة العطف الفاء كما في التركيبين (4) و(5) المعاد سوقهما للتذكير:

(4) لتعد هند إلى البيت فيسعد الكل (بنصب "يسعد")

(5) لتعد هند إلى البيت فيسعد الكل (برفع "يسعد")

### 1.3.1.2. الانعكاس الدلالي

الشق الثاني من البنية التحتية محمول وحدود (موضوعات ولواحق) تحمل وظائف دلالية بالنظر إلى دورها في الواقعة الدال عليها المحمول (منفذ، متقبل، مستقبل،...) وسمات توطر المحمول من حيث الجهة (تام/غير تام، مسترسل،...) ومن حيث الزمن (مضي، حاضر، مستقبل،...).

1- من اللغات ما يحقق الوظائف الدلالية بالإعراب كاللغة العربية ومنها ما يحققها بواسطة "حروف" مخصوصة تهتم كل وظيفة بعينها. وقد يلجأ إلى الرتبة حين يتمثل الإعراب. من ذلك ما يحصل في اللغة العربية حين يتعلق الأمر بالمكونين المتقبل والمستقبل واردين في نفس الجملة إذ يُقدّم المكون الثاني على المكون الأول:

(19) أ- أعطى مدير المؤسسة علياً مكافأة

ب-؟؟ أعطى مدير المؤسسة مكافأة علياً

لندكر أن إلى هذا يشير النحاة العرب حين يقولون بتقديم ما يسمونه "الأخذ في المعنى".

2- تختلف اللغات في حيز السمات الجهية والسمات الزمنية كما تختلف من حيث الوسائل التي تسخرها لتحقيق ما تنتقيه من سمات هذا الحيز.

فمنها ما يتوسل بصيغ المحمول ومنها ما يضيف إلى الصيغ أفعالاً مساعدة. لنتوقف عند التركيب الرباطي الذي أفردنا له بحثاً كاملاً في مكان آخر (المتوكل (1997)).

مما توصلنا إليه في ذلك البحث:

(أ) أن السمات الجهية والزمنية التي توتر المحمول غير الفعلي (اسم، صفة، أو ظرف) تتحقق بواسطة "فعل رابط"؛  
(ب) وأن من اللغات (كاللغتين الانجليزية والفرنسية) ما يرد فيها الفعل الرابط وجوباً في كل الأحوال:

(20) John is / was / will be a teacher

(21) 'Jean est / était / sera un enseignant

(ج) وأن من اللغات ما يكون فيها ورود الفعل الرابط مشروطاً بسمات جهية وزمنية معينة.

مثال هذه الفئة من اللغات اللغة العربية التي تستخدم الفعل الرابط مع السمات الزمنية المضية والمستقبل واللازم من دون السمة الزمنية الحاضر:

(22) أ- كان بكر أستاذاً

ب- سيكون بكر أستاذاً

ج- يكون الجو بارداً في فصل الشتاء

(23) أ- بكر أستاذ

ب- \* يكون بكر أستاذاً

### 1. 3. 2. تنميط الخطابات

موقفنا من تنميط الخطابات في إطار نموذج نحو الخطاب الوظيفي (هنخفالد وماكنزي (2008) والمتوكل ((2005) و(2006)) هو ما دافعنا عنه في مكان آخر (المتوكل (2010)) وما يمكن تلخيصه في الدفوع التالية:

1. نعرف الخطاب كالاتي:

(24) تعريف الخطاب:

"الخطاب كل ما يشكّل في حدّ ذاته وحدة تواصلية قائمة الذات"

يترتب عن التعريف (24) طروح منهجية تخالف المعتقد السائد وهي:

(أ) الوحدة الدنيا للخطاب هي الفعل الخطابي وليس الجملة؛

(ب) يقوم الفعل الخطابي على ركنين: قوة إنجازية (خبر، استفهام، أمر، ...)

وفحوى يتضمن إحالة وحملًا.

ثابت ركني الفعل الخطابي القوة الإنجازية إذ لا فحوى بدون قوة إنجازية في

حين ترد القوة الإنجازية بدون فحوى معين. من أمثلة القوة الإنجازية التي لا تواكب فحوى بعينه:

(25) أ- آه !

ب- هيهات !

ج- ويحك !

(ج) ليس من الضروري أن يطابق الفعل الخطابي الجملة إذ يمكن أن يتحقق في مركّب اسمي أو في عبارة (جملة مضافاً إليها أحد أرباضها القبليّة أو البعدية) أو في نص كامل كما هو الشأن في الأمثلة (26ب) و(27أ-ب) و(28) على التوالي:

(26) أ- من قابلت ؟

ب- صديق طفولة

(27) أ- علي، هناه مدير المؤسسة

ب- ما رأيت أجمل منها، هند

(28) أرسل إليّ عليّ رسالة من البلد الذي يقيم فيه وأجبتّه لأطمئنّه عن حال

الأسرة.

(د) في هذا المنظور، تعد الجملة والنص والمركب الاسمي مجرد أطر بنيوية تتحقق فيها وحدات البنية التحتية التداولية والدلالية وليست، خلافاً للسائد من الأنحاء، مقولات "عميقة".

2. نعتد في تنميط الخطابات معيارين: معيار المجال (فني، ديني، علمي،

إشهاري...) ومعيار الآلية المشغلة (سردي، وصفي، حجاجي ...) مع إمكان تضافر

المعيارين معاً في نفس النمط (سردي فني، حجاجي علمي، حجاجي إشهاري ...)

ويمكن أن يميّز داخل هذه الأنماط بين أصناف فرعية أو أجناس (قصة، رواية،

قصيدة شعرية ...).

3. تؤول مختلف الأنماط الخطابية، مهما تباينت مجالاً أو آلية أو مجالاً وآلية، إلى بنية خطابية ثابتة واحدة قوامها أربعة مستويات، مستوى علاقي (تداولي) ومستوى تمثيلي (دلالي) ومستوى صرفي تركيبى ومستوى فونولوجي، يتضمن كل مستوى منها طبقات يعلو بعضها بعضاً ويحكم بعضها بعضاً كما سنوضح في الفصل الثالث.

4. تتضمن طبقات المستويات الأربعة سمات (إنجازية ووجهية وإحالية) ووظائف (دلالية وتداولية وبلاغية وتركيبية) تشكل اختلاف الأنماط الخطابية. بتعبير آخر، للبنية الخطابية العامة ثوابت ولها متغيرات تكمن في القيم التي تأخذها سماتها ووظائفها ومنها تتولد الأنماط الخطابية.

(5) تقوم البنية الخطابية العامة، ثوابت ومتغيرات، بدور الفيصل في التمييز بين الخطاب الممكن والخطاب غير الممكن.

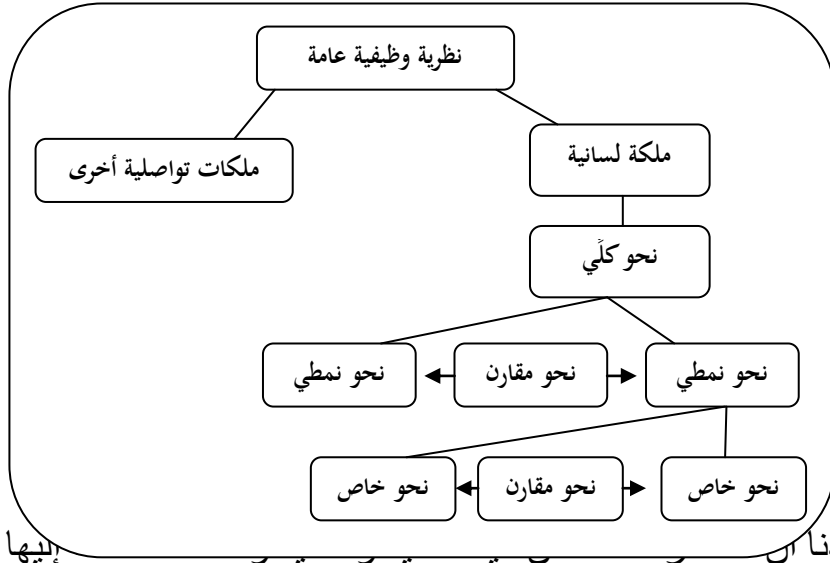
### 1. 3. 3. التمييط والخطاب الموسّط

أن نتساءل عن مدى أهمية علاقة التمييط بالخطاب الموسّط ومدى تأثيره في عملية التوسيط.

ما يمكن أن نقترحه الآن هو تصوّر عام قوامه في ما يلي:

- (1) تُطرح مسألة التمييط بنوعيه، اللغوي والخطابي، حين يتعلق الأمر بالترجمة البيئية (من لغة إلى لغة) وتعليم اللغات على الخصوص؛
- (2) ممّا يُنتظر من النظرية الوظيفية العامة، كما حددناها أعلاه، أن تفرز نحواً كلياً يرصد المبادئ الفطرية التي تحكم اكتساب اللغة. ونفترض أن تكون هذه المبادئ أساساً لاكتساب قدرة تشمل، تبعاً للجرجاني، معرفتين اثنتين: معرفة لغوية صرفاً (معرفة بالوضع اللغوي معجماً وصرفاً وتركيباً) ومعرفة خطابية تمكن من إنتاج نمط خطابي ما وفهمه. نلقت النظر في هذا الباب، كما فعلنا في مكان آخر (المتوكل (1995) و(2010)) إلى أن إنتاج الخطابات (بما فيها الخطاب الفني) يصدر عن هذه القدرة العامة بشقيها التي يتقاسمها كل مستعملي اللغة دون استثناء وإن كانت أبرز عند من يغذيها بالاطلاع والممارسة.
- (3) ويفرز النحو الكلي بدوره، عن طريق التوسيط وانطلاقاً من مبدأ الانعكاس، أنحاء نمطية ترصد كيفية تحقق السمات التداولية والدلالية صرفياً وتركيبياً وفونولوجياً في كل نمط حسب صنف الخطاب؛
- (4) ويتفرع كل نحو نمطي إلى أنحاء خاصة تضطلع بوصف الخصائص اللغوية والخطابية للغات بعينها تنتمي إلى نفس النمط؛
- (5) ويُنتظر من النظرية الوظيفية العامة أن تفرز، إضافة إلى النحو الكلي والأنحاء النمطية والأنحاء الخاصة، أنحاء مقارنة ترصد جوانب الائتلاف وجوانب الاختلاف بين أنماط اللغات من جهة وبين اللغات المنضوية تحت نفس النمط من جهة ثانية.

تبيان هذا التصور العام في الترسيمة (29):



في اعتقادنا أن آليات مقارنة يتيح إعادة طرح وتأطير إشكالات كثيرا ما تثار في أدبيات الدراسات الترجمية كإشكال الاستنساخ أو الحرفية المفرطة وإشكال التمييز بين الترجمة والتعريب وغيرها.

كما في اعتقادنا أن هذا الاقتراح يتيح، بفضل الجمع بين المعرفة اللغوية والمعرفة الخطابية، وضع عملية تعليم اللغات في إطار أنسب، إطار يجعل من هذه العملية طريقا تمكن المتعلم لا من استضمار نسق اللغة المراد تعلمها فحسب بل من اختزان القواعد التي تحكم إنتاج وفهم الخطاب فيها كذلك. يستلزم هذا أن تتم عملية التلقين عن طريق الانتقال من نص (لا من أمثلة) إلى نص من نفس النمط الخطابي.

## 2. الهدف

إن ما نسعى في إحراره -أو مشاركة إحراره- انطلاقاً من الخلفية المنهجية التي رسمنا معالمها الكبرى في المبحث السابق، هو أن ننقل التنظير لمجال الخطاب المتوسط بمختلف أنساقه وقنواته وأنماطه من التعدد والفرق إلى التوحد والشمول.

### 2.1. نظريات قطاعية

تعامل الترجمة وتحليل الخطاب وتعليم اللغات في الوضع الراهن على أنها قطاعات قائمة الذات مستقل بعضها عن بعض. على هذا الأساس يسعى في إقامة "نظريات قطاعية" تخص كلا من هذه القطاعات الثلاثة لا تتعداه إلى غيره، بل يسعى في التنظير لكل فرع منها على حدة فيميز بين الترجمة الأدبية والترجمة العلمية والترجمة السياسية والترجمة الفلسفية كما يميز بين نظرية الخطاب الأدبي ونظرية الخطاب السردية ونظرية الخطاب الحجاجي.

من هذه الدراسات ما يصطنع أدواته الخاصة ومنها ما يستمد بعض مفاهيمه وبعض آلياته من مجالات أخرى كالفلسفة اللغوية والتداوليات وبعض النظريات اللسانية. إن لهذه الدراسات القطاعية قيمتها ونتائجها التي لا تنكر إلا أنها تستدعي بالرغم من ذلك ملاحظات أساسية: أولها، أنها تفصل بين ما حكمه الاتصال، بين قطاعات يجمع بينها مجال واحد هو الخطاب المتوسط كما مر تحديده، وثانيها، أنها تستلزم كلفة في التنظير لا مسوغ معرفياً أو مراسياً لها، وثالثها، أنها لا تأوي إلى إطار نظري معين يحكمها ويتيح تقويمها والمفاضلة بينها. هذه الملاحظات الثلاث وملاحظات ممكنة غيرها هو ما نحاول رفعه في الاقتراح الموالي:

### 2.2. نظرية لسانية واحدة

إذا حصرنا تحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات في حقل اللسانيات نكون أمام إمكانين:

أولهما، وهو السائد رهناء، أن تُوَطر هذه القطاعات داخل نظريات لسانية مختلفة كللسانيات النص والمقاربة التوليدية أو الوصفية للترجمة والمقاربة التواصلية أو الوظيفية لتعليم اللغات.

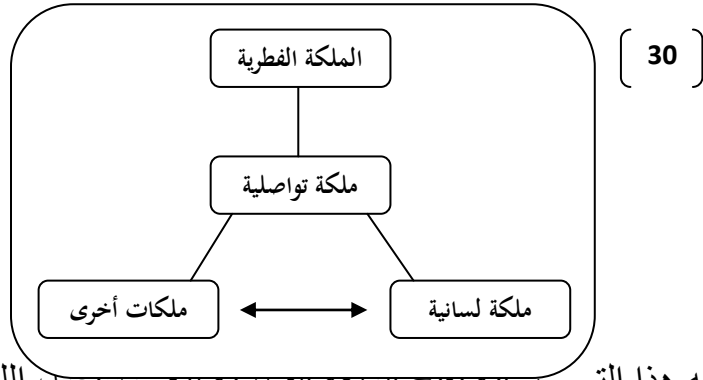
أما الإمكان الثاني، وهو ما نتبناه هنا، هو أن تضطلع نفس النظرية اللسانية بتغطية القطاعات الثلاثة جميعها. من الممكن مبدئياً أن تقوم بهذا التأطير أي من النظريات اللسانية المعروفة التي استكملت مفاهيمها وآلياتها وضمنها نظرية النحو الوظيفي.

دافعنا في مكان آخر (المتوكل (2003) و(2006)) عن أطروحة وجوب السعي في إحرار كفايتين، كفاية الوصف والتفسير وما أسميناه الكفاية الإجرائية، ونعني بذلك أن مهمة النظريات اللسانية لا تنحصر في دراسة الظواهر اللغوية

ووضع أنحاء كاملة أو أجزاء أنحاء لمختلف اللغات. فعليها أيضا أن تقوم بالتأطير النظري والمنهجي لأنساق التواصل (اللغوية وغير اللغوية) وأنماطه داخل القطاعات الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية.

في هذا التوجه، نريد أن نقدم هنا اقتراحا بديلا لما اقترناه منذ سنوات، اقتراحاً يغني عن التمييز بين **الكفاية التفسيرية والكفاية الإجرائية** ويكفل بالتالي تلافي إضافة مفاهيم جديدة من الممكن ألا تضاف. يقوم هذا الاقتراح على إعادة النظر في بعض مفاهيم نظرية النحو الوظيفي بتوسيعها، كمفهوم **الكليات** ومفهوم **القدرة** ومفهوم **الكفاية** نفسه:

(أ) سبق أن دفعنا (المتوكل ( 2003 ) و(2006)) بطرح مفاده أن ما يفطر عليه مستعمل اللغة الطبيعية ملكة تواصلية عامة تشمل الملكة اللسانية وملكات غيرها تدعمها أو تقوم مقامها كما توضح ذلك الترسيم (30):



مما يتيح هذا التصور أنه يفتح المنحة النظرية لدى مستعمل اللغة على مختلف أنساق التواصل ويمكن من رصد ووصف وتفسير الانتقال من بعضها إلى بعض كما يحصل أثناء ما أسميناه " **الترجمة الأنساقية** "، أي الترجمة من اللغة إلى الإشارة أو العكس والترجمة من اللغة إلى الصورة أو العكس مثلا.

(ب) يكتسب مستعمل اللغة، في إطار المبادئ الفطرية التي تشكل ملكته اللسانية، قدرة في لغته الأولى كما يمكن أن يكتسب قدرة في لغة ثانية (ولغات أخرى). ما يهمننا هنا هو أن القدرة في الحالتين تتضمن معرفتين اثنتين: معرفة النسق اللغوي في عمومته والمعرفة التي تمكن من إنتاج أي نمط من أنماط الخطاب وفهمه. بنقل الخطاب ومختلف أنماطه من حيز الإنجاز إلى حيز القدرة، يصبح لزاما على النظرية اللسانية أن ترصد وتصف القدرة في شمولها، أن تكون نظرية للغة ونظرية للخطاب في ذات الوقت.

(ج) الكفاية في نظرية النحو الوظيفي (دك ( 1997 )) ثلاث كفايات: **الكفاية النمطية والكفاية التداولية والكفاية النفسية**.

يعرّف دك **الكفاية النمطية** بأنها "الكفاية التي تسعى النظرية اللسانية في إحرازها حين تكون معدة لوضع أنحاء للغات منتمية إلى أنماط لغوية متباينة ولرصد وجوه الائتلاف ووجوه الاختلاف بين هذه اللغات".

بيّنّا في فقرة سابقة أن النحو الوظيفي الكلي يفرز **أنحاء نمطية** تتفرع عنها **أنحاء خاصة** و **أنحاء مقارنة** ترصد المتناظر والمتباين في الحالتين وبيّنّا بنفس

المناسبة أن التتميط غير مقصور على اللغات بل يشمل كذلك الخطابات. من الجليّ أن هذا التصور للكفاية النمطية يضمن للانتقال من لغة إلى لغة (ترجمة أو تعلمًا للغات ثانية) تلافياً للاتصاق المفرط باللغة المصدر المفضي إلى "الحرفية" المتشدّدة أو الاستنساخ من جهة وتلافياً الابتعاد عنها كلية من جهة ثانية.

ويحدّد دكّ الكفاية التداولية بأنها "المطمح الذي تسعى في إحراره النظرية اللسانية المؤهلة للاندماج في نظرية تداولية أوسع" تشمل التواصل اللغوي في عمومه.

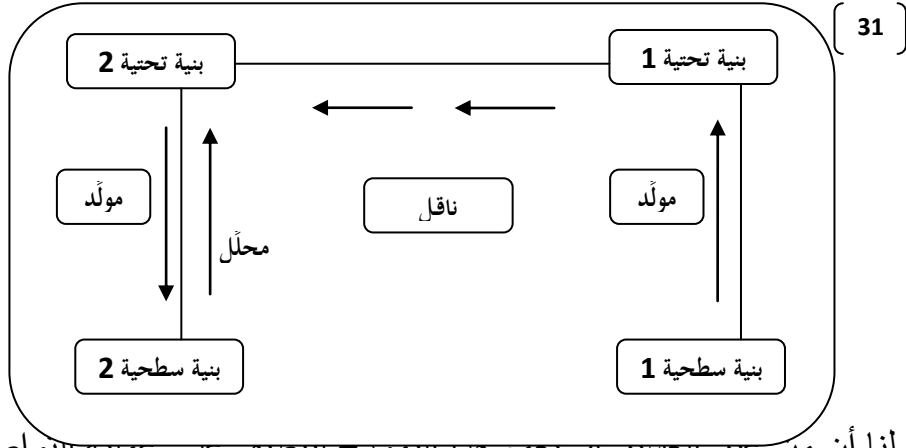
ونذهب هنا إلى القول إنه بالإمكان أن تدرج النظرية التداولية المتحدث عنها نفسها في نظرية للتواصل بجميع أنساقه وقنواته وأنماطه وهي "النظرية الوظيفية العامة" الموضحة في الترسيمة ( 29 ) أعلاه. هذه النظرية الوظيفية العامة تصبح الإطار الأنسب لرصد ما أسميناه "الترجمة الأنساقية".

أما الكفاية النفسية فيعرفها دكّ بأنها "الكفاية التي تُحصّل حين تكون النظرية اللسانية مؤهلة لرصد إنتاج الخطاب وفهمه، أي حين تكون مطابقة ما أمكن التطابق للنماذج النفسية للقدرة اللغوية والسلوك اللغوي معاً".

لتحصيل الكفاية النفسية، يتوجب على النظرية أن تصطنع آليتين متلازمين اثنتين: آلية لتوليد الخطاب وآلية لتحليله.

هاتان الآليتان كافيتان حين يتعلق الأمر بإنتاج الخطاب وفهمه لكنهما لا تفيان برصد عمليات أخرى يقوم بها مستعمل اللغة حين ينتقل من لغة إلى لغة (ترجمة بينية) أو من خطاب إلى خطاب داخل نفس اللغة (ترجمة عينية) أو من قدرة لغة أولى مكتسبة إلى قدرة لغة ثانية متعلّمة.

لإقدار النظرية اللسانية على رصد هذه العمليات، نقتراح أن تضاف إلى آليتي التوليد والتحليل آلية ثالثة يمكن أن نسميها "آلية النقل" على هذا الأساس يكو النموذج الكافي نفسياً النموذج الموضح في الترسيمة العامة (31):



يبدو لنا أن من غير العسير أن نعمم هذا النموذج ليتطبق على عمليه التواصل بوجه عام فتضطلع الآلية الوسطى إذاك بنقل فحوى خطاب ما من نسق تواصلية ما إلى فحوى خطابي من نسق تواصلية آخر كما يمكن أن يحصل أثناء ترجمة (أو تفسير أو تأويل) لوحة فنية أو صورة أو إشارة شريطة أن تكيف آليتنا التوليد والتحليل وطبيعة النسق التواصلية المنقول منه أو المنقول إليه وأن تتضمن آلية النقل نحواً أنساقياً مقارناً يرصد ما يعادل بين الأنساق المعنية بالنقل.

## خلاصة

إذا ما وصلنا بين تحليل الخطاب بجميع أنماطه والترجمة بمختلف أنواعها (نسقية/أنساقية؛ بينية/عينية) وتعليم اللغات وجعلناها، لما يؤالف بينها، فروعاً لمجال واحد أصبح من الوارد أن نعتمد في دراسة هذا المجال منهاجاً موحدًا. يفترض هذا المنهج أن يكون إطار الدراسة نظرية لسانية وأن تكون هذه النظرية مؤهلة من حيث المفاهيم والآليات لإحراز قدر معقول من الكفايتين النظرية والإجرائية.

نفترض أن نظرية النحو الوظيفي من النظريات اللسانية التي يمكن أن تشارف هذا المطمح إذا أُعيد تعريف مفهوم الكفايات الثلاث التي تسعى في إحرازها وهُيئت للاندراس في نظرية وظيفية عامة للتواصل اللغوي وغيره، وإذا ما وُسِّع جهازها الواسف ليشمل كل أنماط عمليات التواصل التي أُقدر مستعمل اللغة (والمواصل بوجه عام) على القيام بها.

## الهوامش

- (1) انظر التفاصيل في (المتوكل (2003) و(2006))
- (2) للمزيد من الاطلاع على السمات الوجهية وكيفية تحققها في اللغة العربية، انظر (المتوكل (1995) و(2010)) وانظر كذلك (الزهري (2009))
- (3) نقصد بذلك صيغتي التعجب "ما أفعل" و"أفعل بـ"
- (4) انظر التمييز بين "المركز" و"الربض" وتنميط الأرباض في (المتوكل (2009))
- (5) انظر تفاصيل دفاعنا عن هذا الطرح في (المتوكل (2010))

الفصل الثالث  
الجهاز:  
نموذج مستعمل اللغة

## الفصل الثالث

### الجهاز:

### نموذج مستعمل اللغة

#### 0. مدخل

من أوليات التنظير العلمي، كما هو معلوم، أن تصطنع النظرية جهازاً هو عبارة عن نموذج صوري (قابل للحوسبة ما أمكن ذلك) يرصد ويصف ويفسّر الواقع الذي تستهدفه.

أفرزت نظرية النحو الوظيفي خلال العقود الثلاثة الأخيرة عدة نماذج عكست التطور الحاصل في توجهات النظرية من حيث مجال الدرس (من الجملة إلى الخطاب) وما يستتبعه ذلك من إغناء الجهاز الواصف من حيث آلياته وإعادة النظر في تنظيمه.

استخدمت هذه النماذج في وصف الظواهر اللغوية ومنها ما وُظف في نقل النظرية إلى القطاعات الاجتماعية-الاقتصادية كتحليل للنصوص والترجمة والاضطرابات اللغوية (المتوكل (2006)).

أثبتت التجربة أن النحو المعياري (ديك (1989) و(1997 أ-ب)) ونحو الطبقات القالبية (المتوكل (2003)) قادران على إنجاز هذه النقلة. نروم هنا اختبار مدى قدرة "نحو الخطاب الوظيفي"، أحدث نماذج النظرية، على القيام بنفس النقلة الإجرائية وبالخصوص على ولوج مجال الخطاب المتوسط.

#### 1. نحو الخطاب الوظيفي: النموذج النواة

نقصد بالنموذج النواة في نحو الخطاب الوظيفي النموذج المعروف له في المؤلف الأساسي لهنخفلد وماكنزي (هنخفلد وماكنزي (2008)).

يمكن إيجاز ما يؤلف بين نحو الخطاب الوظيفي والنحو الوظيفي المعياري ونحو الطبقات القالبية وما يميزه عنهما في ما يلي:

(1) تؤول كل النماذج التي أفرزتها نظرية النحو الوظيفي، مهما اختلفت، إلى نفس الأرومة المنهجية التي حصرناها (المتوكل (2006)) في عشرة مبادئ أساسية نذكر هنا ببعضها:

(أ) تسعى نظرية النحو الوظيفي في مقارنة اللغة على أساس أنها أداة

للتواصل داخل المجتمعات البشرية تربطها من هذا الوجه علاقات بأدوات التواصل الأخرى غير اللغوية المرئية والمسموعة؛

(ب) وظيفة اللغة الأساس هي وظيفة التواصل تنفرع عنها وظائف أخرى (تعبيرية وإقناعية وغيرها)؛

(ج) القدرة التي يكتسبها مستعمل اللغة الطبيعية قدرة تواصلية عامة تشمل كل المعارف اللغوية والخطابية وغيرها التي تمكنه من إنتاج أي خطاب ومن فهمه؛

(د) تحكم الوظيفة بنية اللغة عامة وبنية ما يمكن أن ينتج داخلها من أنماط خطابية إن في التزامن أو في التطور.

ويوافق نحو الخطاب الوظيفي النحو المعياري ونحو الطبقات القالبي من حيث تنظيم الجهاز الواسف اعتمادا لمبادئ ثلاثة هي:

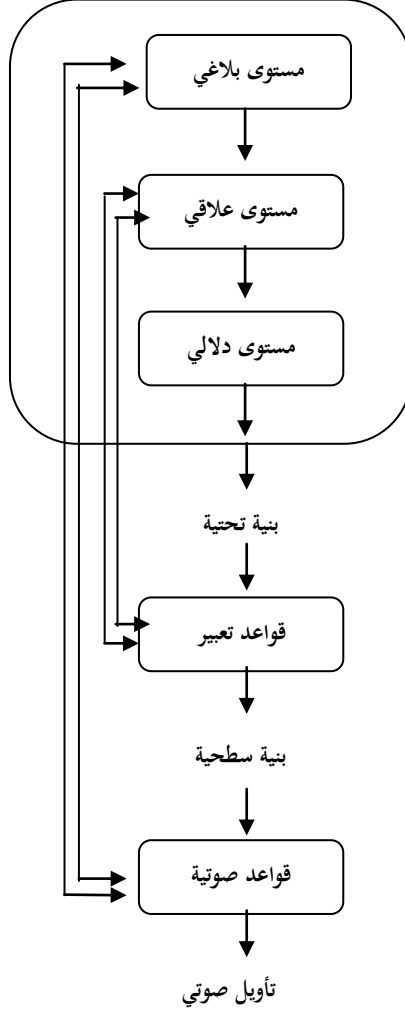
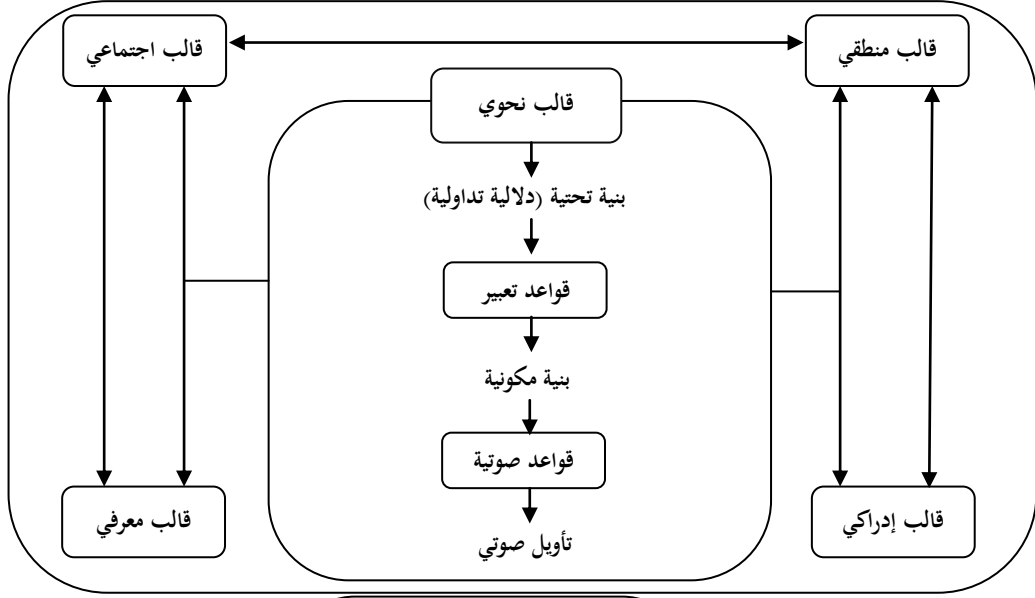
أولاً، أن المعارف التي تفعل في عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه معارف اجتماعية وإدراكية ومنطقية إضافة إلى المعارف اللغوية؛

ثانياً، أن العلاقة الرابطة بين مختلف مكونات النحو علاقة قالبية حيث يتخذ خرج بعضها دخلا لبعض؛

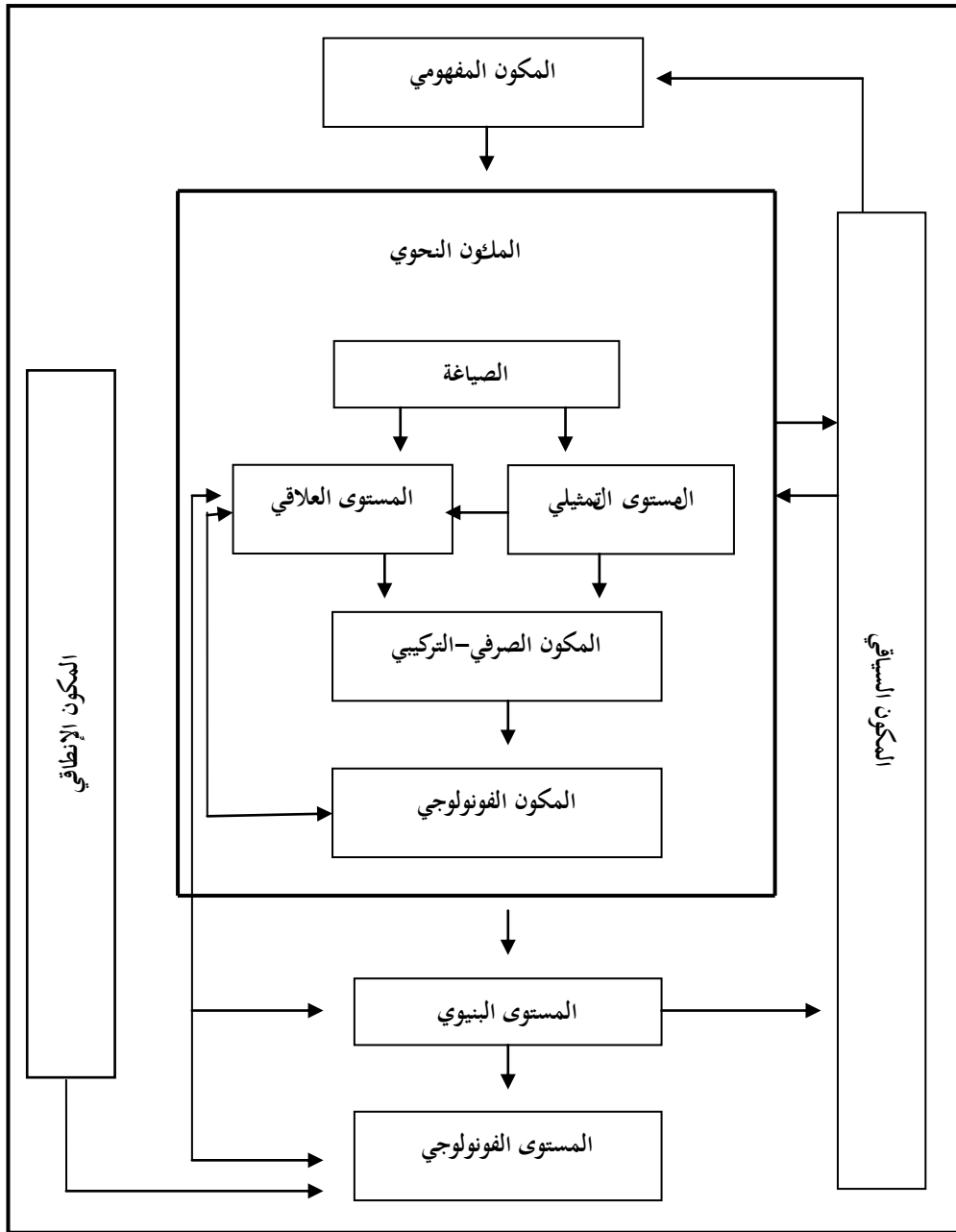
ثالثاً، أن التداول والدلالة يشكلان البنية التحتية للخطاب التي تتضمن المعلومات التي تحدد البنيتين الصرفية-التركيبية والفونولوجية.

(2) أمّا ما يخالف بين نحو الخطاب الوظيفي والنحوين الآخرين فيمكن استكشاف معالمه من قراءة الترسيمات الثلاث الآتية والمقارنة بينها:

# (1) نموذج مستعمل اللغة في النموذج المعياري:



### (3) نموذج مستعمل اللغة في نحو الخطاب الوظيفي



(أ) يوافق نحو الخطاب الوظيفي نحو الطبقات القالبي في كونها يفصلان معاً، خلافاً للنحو المعياري، بين التداول والدلالة ويجعلانها مستويين مستقلين "مستوى علاقياً" و"مستوى تمثلياً" رغم ارتباطهما الممكن؛

(ب) يتيح الفصل بين هذين المستويين في كلا النحويين ربط المستوى العلاقي بالمستويين الصرفي-التركيبى والفونولوجي ربطاً مباشراً في تحقيق العناصر التداولية سمات (إنجازية ووجهية) ووظائف (تداولية وبلاغية) دون المرور بالمستوى التمثلي وهو ما يسوّغ أيضاً إدماج العبارات الفارغة دلالياً مباشرة في المستوى العلاقي نفسه؛

(ج) يجمع نحو الخطاب الوظيفي بين المستويين البلاغي والعلاقي المميز بينهما في نحو الطبقات القالبي بجعلهما مستوى واحداً قصد التقليل من الكلفة في آليات التمثيل (هنخفد (حديث شخصي))؛

(د) في نحو الطبقات القالبي، يتضمن المستوى العلاقي ثلاث طبقات: الطبقة الاسترعاثية (التي تتحقق في النداء مثلاً) وطبقة القوة الإنجازية والطبقة الوجهية (التي تمثل لسمات من قبيل "يقين" "شك" "تقوية" "تقليل"). أما في نحو الخطاب الوظيفي فإن المستوى العلاقي يقوم على "أفعال لغوية" (بالمعنى الذي يأخذه هذا المفهوم في فلسفة اللغة العادية) أهمها "الفعل الخطابي" الذي يتضمن قوة إنجازية ومؤشري المتكلم والمخاطب وفحوى يتضمن بدوره فعلاً حملياً وفعلاً إحالياً. ويندرج فعل الخطاب في طبقة تعلوه هي طبقة "النقطة" وقد اقترحنا في مكان آخر (المتوكل (2010)) إضافة طبقة تعلو النقطة وتسميتها "الحديث" (أو "المحادثة").

بهذا تكون بنية المستوى العلاقي في نحو الخطاب الوظيفي البنية (4):

(4) حديث 1: [نقطة 1: [فعل خطابي 1: [قوة إنجازية (ك) (ط) (فحوى 1: [فعل حملي 1) (فعل إحالي 1) [فحوى 1) [فعل خطابي 1) [نقطة 1) [حديث 1))  
حيث: ك= متكلم، ط= مخاطب

لنأخذ مثلاً الجملة (5):

(5) شرب الضيف شايًا

المستوى العلاقي في بنية هذه الجملة التحتية هو المستوى (6):

(6) حديث 1: [نقطة 1: [فعل خطابي 1: [قوة إنجازية (ك) (ط) (فحوى 1: [فعل حملي 1) (معرف <فعل إحالي 1) [منكر <فعل إحالي 2) [فحوى 1) [فعل خطابي 1) [نقطة 1) [حديث 1))

(هـ) تتفق الأنحاء الثلاثة، النحو المعياري ونحو الطبقات القالبي ونحو الخطاب الوظيفي، في التمثيل للدلالة في مستوى تمثلي قوامه طبقتان: طبقة القضية وطبقة الواقعة. ففي الأنحاء الثلاثة يكون المستوى التمثلي للجملة (5) هو المستوى (7):

(7) قضية 1: [مضي <تام >واقعة 1: [ش.رب. فعل (س 1: ضيف) منفذ (س2: شاي) متقبل [واقعة 1) [قضية 1))

يكنم الاختلاف في هذا الباب بين الأنحاء الثلاثة في مسطرة التمثيل للسمات الوجهية: يمثل لهذه السمات جميعها في طبقة القضية في النحو المعياري ولها جميعها

في الطبقة الوجيهة في المستوى العلاقي في نحو الطبقات القالبية في حين تتوزع هذه السمات بين المستويين التمثيلي والعلاقي حيث يرصد بعضها في طبقة القضية وبعضها في طبقة الفحوى في نحو الخطاب الوظيفي.

(و) تُصاحب كل مستوى، في نحو الخطاب الوظيفي، "خزينة" تتضمن "مواد بنائه".

فيما يخص المستوى الصرفي-التركيبى، تحوي خزينته صرفات ("حرّة" كأدوات و"مربوطة" كاللواصق) وأطراً صرفية-تركيبية معدّة لإيواء وحدات البنية التحتية بشقيها. يُميّز هنخفد وماكنزي (هنخفد وماكنزي (2008)) داخل الأطر الصرفية-التركيبية بين "العبارة" و"الجملة" و"المركب".

تتكون العبارة كما سبقت الإشارة إلى ذلك من جملة يواكبها ربض (قبلي أو بعدي) وتتكون الجملة من فعل أو صفة أو اسم هو رأسها توارده مركبات اسمية. أمّا مكونات المركب الاسمي فاسمٌ رأس ومخصّص وفضلة.

وقد ارتأينا (المتوكل (2010)) أن نضيف إطاراً صرفياً تركيبياً يعلو العبارة أسميناه مؤقّتا "نصاً" لتصبح البنية الصرفية-التركيبية العامة للخطاب البنية (8):

(8) نص :1 [عبارة :1 : [جملة :1 : (مركب :1) ... (مركب ن) : [جملة :1]]] [عبارة :1] [نص :1]

تجدر الإشارة هنا إلى أمرين هامين بالنظر إلى عملية الترجمة (البينية على الخصوص). **أولهما**، أن اللغات وإن كانت تجمع بينهما البنية العامة (8) فإنها تختلف اختلافاً دالاً من حيث تكوين طبقة الجملة مقولات وترتيباً حيث يميز بين اللغات السلسلية التي لها مركب فعلي يُكوّن من فعل يرئسه ومركب اسمي مفعول كاللغة الانجليزية واللغة الفرنسية مثلاً واللغات التي تفصل بين الفعل والمركب المفعول فصلاً لا يتيح الجمع بينهما في مكون واحد كاللغة العربية وحيث يميز بين اللغات التي تقدّم الفعل في الخطاب غير الموسوم تداولياً واللغات التي تبتدئ الجملة فيها بالمركب الاسمي الفاعل.

مثال الفئة الأولى من اللغات اللغة العربية ومثال الفئة الثانية اللغات الانجليزية والفرنسية.

**ثانيهما**، أن اللغات تختلف من حيث اتساع الحيز الصدر في الجملة حيث يمكن القول بأن هذا الحيز "أرحب" في لغات (كاللغة العربية) منه في لغات أخرى. يصدق هذا الاختلاف في "رحابة" الحيز الصدر على اللغات "شفافة التركيب" في مقابل اللغات "كاتمة التركيب" على اللغات التي تميّز في مستوى البنية الصرفية-التركيبية بين حيزي التداول والدلالة في مقابل اللغات التي لا يتيح نظام تركيبها فعل ذلك (المتوكل (2003) و(2005) و(2006)).

(ز) ثمة إجماع في الأبحاث الثلاثة على أن الطاقات التي تسخر لإنجاح عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه تشمل الطاقة اللغوية وطاقات أخرى وأن هذه الطاقات ترصد في مكونات نموذج مستعمل اللغة وأن هذه المكونات يحكم تفاعلها مبدأ القالبية.

في الأنحاء ثلاثتها يُميّز بين مكون مركزي هو المكون النحوي ومكونات "مواكبة". يبدأ الاختلاف بين هذه الأنحاء حين يتعلق الأمر بتوزيع مختلف الطاقات داخل نموذج مستعمل اللغة وكيفية رصدها.

يرصد النحو المعيار الطاقات غير اللغوية في أربعة قوالب، كما يتبين من الترسيمة (1)، هي القالب المعرفي حيث تخزن المعارف العامّة عن العالم (الواقعي والمتخيّل) والقالب الاجتماعي الذي يحدّد الخلفيّة الاجتماعية-الثقافيّة للخطاب والقالب الإدراكي محطّ تحديد عناصر الموقف التواصلي الآني والقالب المنطقي الذي يزوّد المتخاطبين بآليات الاستدلال التي تمكّنهما من اشتقاق معارف إضافية من معارف متوافرة.

ويُنتهَج نفس النهج في نحو الطبقات القالبية الذي يتبنّى نفس الصياغة لنموذج مستعمل اللغة.

أمّا نحو الخطاب الوظيفي فإنه يختلف عن النحويين الآخرين، كما يتبين من الترسيمة (3)، من حيث القيام بعمليتين اثنتين: عملية اختزال وعملية إضافة.

يُختزل فحوى القالبيين الاجتماعي والإدراكي في مكون واحد هو المكون السياقي الذي يرصد السياق العام والسياق المقامي (سياق الموقف التواصلي الآني) والسياق المقالي (الخطاب السابق والخطاب اللاحق اللذين يشكّلان بُعد "التناص" للخطاب المنتج أو المروم فهمه).

ويُختزل فحوى القالبيين المعرفي والمنطقي في مكون واحد يرصد فيه كل ما يفترض أن يشكّل "القوة الدافعة" في إنتاج الخطاب أو فهمه.

أمّا الإضافة فتخص "المكون الإنطائي" الذي يقوم بنقل المستوى الفونولوجي المجرّد إلى تحقّق فعلي قد يكون صوتاً أو خطأً (في الخطاب المكتوب) كما يمكن أن يكون إشارة.

## 2. نحو الخطاب الوظيفي: النموذج الموسع

سننتقي نموذج مستعمل اللغة كما صيغ في نحو الخطاب الوظيفي على أساس إعداده ليصبح قادراً على رصد مختلف العمليات التي تتم أثناء التواصل سواء أكان تواملاً مباشراً أم تواملاً موسّطاً، سواء أتمسّلت اللغة أم تواملاً قناة غيرها. يقتضي إعداد جهاز نحو الخطاب الوظيفي للاضطلاع بهذه المهمة إقداره على إحراز ثلاث مواصفات أساسية هي: الخصوصية والشمول والعموم.

### 2.1. الخصوصية

ألمحنا في إحدى فقرات الفصل السابق إلى موقفنا من تنميط الخطابات الذي أفردنا له فصلاً كاملاً من بحث سابق نذكر هنا بأهم معالم الأطروحة التي تبنيهاها:

(1) تتعدّد الخطابات وتتباين مجالاً وآليات وأهدافاً لكنها تؤول إلى بنية خطابية عامة واحدة تجد ثوابتها في كل مستوى من المستويات الأربعة، في المستوى العلاقي والمستوى التمثيلي والمستويين الصرفي-التركيبى والفونولوجي

(2) لهذه البنية الثابتة متغيّرات في كل مستوى من المستويات الأربعة تكمن في اختلاف القيم المسندة إلى عناصر كلّ مستوى وعن هذا الاختلاف تتولّد الأنماط الخطابية.

اعتماداً لهذه الأطروحة، اقترحنا (المتوكل (2010)) أن تسند القيم إلى مخصصات طبقات المستويين العلاقي والتمثيلي وإلى وظائف العناصر التي تتضمنها هذه الطبقات.

لنعد إلى البنية العلاقية (4)، مثلاً، فنحدّد قيم وحداتها على الشكل التالي:

(9) (<حجا> محادثة 1: [[<دفع إبطالي> نقلة 1: [[<حجة> فعل خطابي 1: [خبر (ك-) (ط) (فحوى 1: [[فعل حملي (1) (فعل إحالي 1) بؤرة إبطال (فعل إحالي 2) بؤرة تعويض] (فحوى)] (فعل خطابي 1)] (نقطة 1)] (محادثة 1))

حيث حجا = حجاج

يمكن أن تعدّ البنية (9) مستوى علاقياً في البنية التحتية لخطاب حجاجي في شقه الإبطالي (مقابل شقه الابتدائي). أهم ما يُقرأ في هذه البنية هو أن القيمة (الحجاج) التي يأخذها مخصّص أعلى طبقة، طبقة المحادثة، تسري على الطبقات التي تسفلها فتجدّد قيمة مخصّص النقطة كما تحدّد القوة الإنجازية والوظيفيتين التداوليتين (بؤرة إبطال، بؤرة تعويض) المسندتين إلى الفعلين الإحاليين اللذين تتضمنهما طبقة الفحوى.

هذه القيم التحتية هي التي ستحدّد بدورها الخصائص الصرفية-التركيبية لهذا النمط الخطابي.

بهذه المواصفات يمكن أن تكون البنية (9) البنية التحتية العلاقية لجملة من قبيل (10) باعتبارها رداً على الجملة (5):

(10) ما شايأ شرب الضيف بل فنجان قهوة

تكمن أهمية تحديد النمط الخطابي بالتأشير له في مستوى البنية التحتية لا في التنبؤ بخصائص الخطاب ووصفها الوصف الملائم فحسب بل كذلك في ضبط عملية الترجمة (البينية على الخصوص) بضمان الانتقال داخل نفس النمط الخطابي مع وجوب اعتبار النمط اللغوي الذي تنتمي إليه اللغتان ووجوه الانتلاف والاختلاف بينهما من حيث التحقق الصرفي-التركيبى لخصائص نوع الخطاب المعنى بالأمر.

## 2.2. الشمول

ما نقصده بالشمول هنا هو أن يصبح الجهاز المقترح في نحو الخطاب الوظيفي نموذجاً حقيقياً لمستعمل اللغة محرزاً لقدر معقول من الكفاية النفسية برصده للقدرة على إنتاج الخطاب المباشر وفهمه والقدرة على القيام بمختلف عمليات التحويل التي يستلزمها إنتاج الخطاب المتوسط. يقتضي إحراز الجهاز مواصفة الشمول هذه أن يعدّل على النحو التالي:

(1) من البين أن الآلية التي يقترحها هنخفلد وماكنزي (هنخفلد وماكنزي (2008)) آلية لإنتاج الخطاب. ويشير المؤلفان في عجالة إلى أن فهم الخطاب يتم بنفس الآلية معكوسة حيث ينتقل المخاطب من البنية السطحية إلى البنية التحتية من المستوى الصوتي إلى المستويين العلاقي والتمثيلي عن طريق تفكيك قواعد التعبير. يعني هذا وجوب ازدواج الجهاز بإضافة آلية تحليلية إلى آلية الإنتاج.

(2) لرصد الخطاب المتوسط، يصبح من اللازم أن يزود الجهاز بآلية تحويل ("محوّل") تنقل البنية التحتية للخطاب المصدر إلى البنية التحتية للخطاب الهدف متوسلة في ذلك بنحو وظيفي مقارن حين يتعلق الأمر بالترجمة البينية أو بتعلم لغة ثانية.

## 2.3. العموم

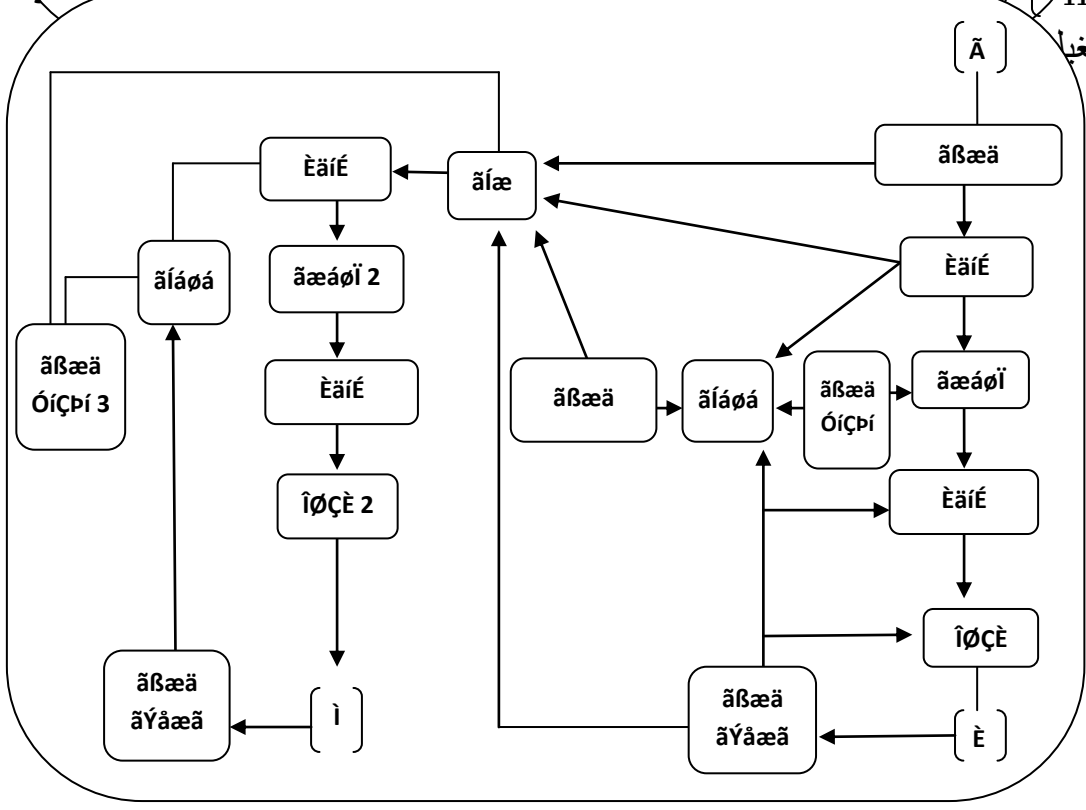
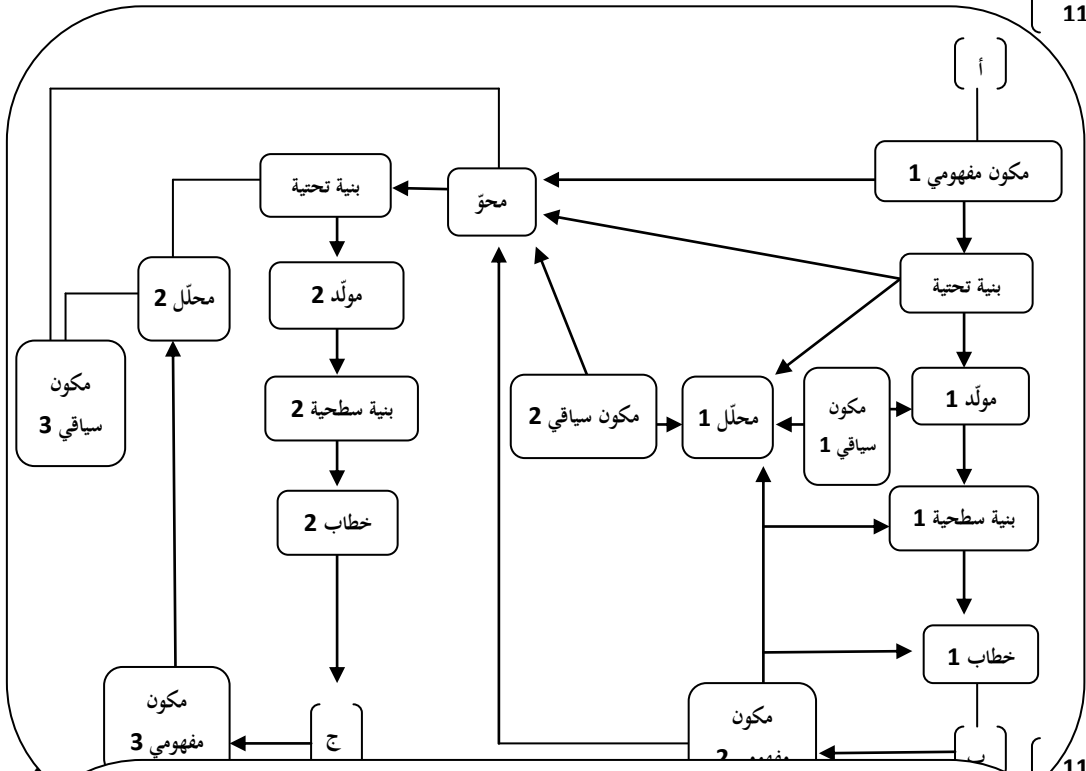
أشرنا في مبحث سابق إلى أن من أهدافنا توسيع مفهوم الكفاية التداولية بحيث تصبح الكفاية التداولية كفاية تواصلية وتدرج نظرية النحو الوظيفي في نظرية أعم، "النظرية الوظيفية العامة" التي تعد مسؤولة عن التنظير للتواصل بمختلف أنساقه اللغوية وغير اللغوية.

لبلوغ هذا الهدف، نقترح أن يؤخذ جهاز نحو الخطاب الوظيفي الموسّع على أنه نسق مجرد من القوالب المولدة والمحللة والمحوّلة الفارغة يستخدم مبدئياً لرصد التواصل أياً كانت قنواته وأياً كان نمطه على أن يُخصّص فحوى هذه القوالب عند الاقتضاء فتكون لغوية أو إشارية أو صورية أو يكون بعضها لغوياً وبعضها غير لغوي.

في هذا التصور، يصبح نموذج نحو الخطاب الوظيفي تحقّقاً لغوياً لنموذج التواصل العام.

يفضي ما اقترحنه هنا من تعديل إلى البنية العامة الموضحة في الترسيمية

(11):



### 3. الخطاب المباشر

سبق أن عرّفنا الخطاب المباشر بأنه الخطاب الذي يتم بين ذاتين دون واسطة.

يتم تشغيل الجهاز ( 11 ) حين يتعلق الأمر بالخطاب المباشر وفقا للمسطرة العامة التالية على أساس أن ما يوظّف هو الجزء الأول منه:  
أولاً، في عملية الإنتاج، يتولى المولد الأول نقل البنية التحتية التداولية-الدلالية المصوغة انطلاقاً من مخزون المكون المفهومي المنتج إلى بنية سطحية تتحقق في خطاب، ثانياً، في عملية التلقي، يقوم القالب المحلّل الأول بتفكيك الخطاب المنتج بمعونة مخزون المكون المفهومي المحلّل عبر البنية السطحية حتى الوصول إلى البنية التحتية المنطلق.

ثمة مسألتان نراهما جديرتين بالتوقف عندهما هنا هما: أولاً، التمييز بين "التلقي المتزامن" و"التلقي المتباعد"، وثانياً، التمييز الذي سبقت الإشارة إليه والذي يقابل بين الخطاب السليم والخطاب المضطرب.

### 3. 1. التلقي المتزامن/التلقي المتباعد

نقصد بالتلقي المتزامن التلقي الذي يتم إبان الإنتاج (البث) نفسه كما يحصل في الحوارات والمحادثات والمهاتفات مثلاً.

أما التلقي المتباعد، فالمقصود به التلقي الذي يتم خارج زمن الإنتاج متأخراً عنه لاحقاً به وهو ما يحصل حين قراءة خطاب ما أنتج في زمن آخر قد يقترب وقد يبعد (رواية، قصيدة، مؤلف علمي أو فلسفي...).

مكّمن ورود التمييز بين التلقي المتزامن والتلقي المتباعد في أهمية علاقته بالسياق. بيان هذه العلاقة فيما يلي:

(1) يُجمع في التلقي المتزامن بين المنتج للخطاب ومنتقيه سياق واحد به يتم الإنتاج والتلقي معا فيصبح من الممكن أن يشغّل المكون السياقي 1 بمفرده دون ما حاجة لتشغيل المكون السياقي 2؛

(2) أمّا في حال التباعد بين زمني الإنتاج والتلقي فإننا نكون أمام اختيارات ثلاثة: أولها، أن يلتزم المتلقي التزاماً بسياق الإنتاج فلا يشغّل إذاك إلا المكون السياقي 1، وثانيهما، أن يلغي المتلقي سياق الإنتاج ويعتمد سياقه الخاص فلا يشغّل إلا المكون السياقي 2، وثالثها، أن يزاوج بين سياقي الإنتاج والتلقي فيتم تشغيل المكون السياقي 1 والمكون السياقي 2 كليهما.

في الأمثلة الممكن إيرادها في هذا الباب مثال نستقيه من تجربتنا الشخصية وهو التعامل الممكن مع نصوص الفكر اللغوي العربي القديم. يقرأ النص (النحوي أو البلاغي) مربوطاً بسياقه التاريخي والمعرفي العام وفي تعالقه بنصوص أخرى من مجاله أو يقرأ "على ضوء" الدرس اللساني الحديث أو يُزاوج في قراءته بين المنطلقين معا<sup>(6)</sup>.

لا ريب في أن الاختيار الأول أقرب السُّبل إلى استكشاف البنية التحتية للخطاب تداولاً ودلالة (مقاصد وفحوى) حين يكون التلقي رامية إلى مجرد الفهم أو حين يكون مرحلة من المراحل.

### 3.2. التلقي السليم/التلقي المضطرب

ميّزنا في مبحث سابق بين التخطيب المفضي إلى تواصل والتخطيب غير المفضي إلى تواصل وميّرنا داخل التواصل بين ما هو سليم وما هو مضطرب اضطراباً عرضياً أو اضطراباً مرضياً.

بالإمكان الآن أن نعرّف الاضطراب في مقابل السلامة داخل جهاز نحو الخطاب الوظيفي الموسّع على الشكل التالي:

(1) يمكن أن نقول عن عملية تواصل ما إنها عملية تواصل سليمة إذا تم الانتقال من البنية التحتية 1 إلى البنية السطحية 1 ثم من البنية السطحية 1 إلى البنية التحتية 1 دون إشكال، إذا لم يعق عمليتي التوليد والتحليل عائق؛

(2) لندقق بعض التدقيق في مواطن العوق:

(أ) من حيث إنتاج الخطاب، يمكن أن يكمن الاضطراب في المكوّن المفهومي المنتج نفسه كأن تكون المعارف التي يخزنها (لغوية وغير لغوية) غير كافية أو غير مضبوطة الكفاية والضبط اللذين يكفلان إنتاج خطاب قائم. ويمكن أن يمسّ العوق عناصر البنية التحتية 1 إمّا في شقّها التداولي (في القوة الإنجازية أو في مخصصات طبقات الفعل الخطابي ووظائفه التداولية منها والبلاغية أو في السمات الإحالية كما سبق أن مثلنا لذلك) أو في شقّها الدلالي (في المعجم أو في الوظائف الدلالية أو في مخصصات المحمول الجهية والزمنية)؛

ومن غير النادر أن يكون الاضطراب راجعاً إلى خلل في عناصر المكون السياقي المقامية أو المقالية. من أشهر مظاهر الخلل السياقي عدم مطابقة المقام للمقال وهو ما يمكن رصده من منظور نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسّع على أساس أنه عدم تجانس بين المعلومات المتوافرة في المكون السياقي 1 وصياغة البنية التحتية 1. وقد يكمن اضطراب عملية إنتاج الخطاب أيضاً في الموّلد نفسه حين يحصل عدم التلاؤم بين ما يسخره هذا المكون من آليات والمعلومات الوافدة عليه إما من البنية التحتية 1 أو من المكون السياقي 1.

(ب) أمّا من حيث عملية التحليل، فإن الخلل قد يحصل بوجه عام في مخزون المكون المفهومي 2 (على غرار ما يحصل في المكون المفهومي 1) أو في مخزون المكون السياقي المعتمد في التحليل (المكون السياقي 1 أو المكون السياقي 2) كما يمكن أن يشوب الاضطراب آليات المحلّل 1.

ما يمكن ختم هذا المبحث به هو أن المسطرة التي يوفرها الجهاز المقترح هنا يكمن ورودها في أمرين: أولهما، أنها تتيح رصد اضطرابات الخطاب العرضية إنتاجاً وتلقياً وتمكّن من تداركها ليكتسب الخطاب سلامته ويتم التواصل المستهدف بنجاح، وثانيهما، أنها تسمح بالوقوف على مواطن الاضطرابات المرضية

(المفهومية والتداولية والدلالية والسياقية) وقد تصلح بذلك لأن تكون منطلقاً وأرضية لعمل يجمع بين اللسانيين وأخصائيي الطب النفسي يرمي إلى ربط كل فئة من الاضطرابات اللغوية بما يثوي خلفها من اختلالات نفسية أو عقلية<sup>(7)</sup>.

#### 4. الخطاب الموسّط

الخطاب الموسّط، كما عرّفناه، ناتج تواصل يتم بين ذاتين عن طريق ذات ثالثة تقوم بنقل خطاب ما من الذات المنتجة إلى الذات المتلقية عبر لغتين مختلفتين أو داخل نفس اللغة عبر نفس النسق التواصلي أو من نسق تواصلي إلى نسق تواصلي آخر.

سبق أن فصلنا القول في أصناف الخطاب الموسّط وما يميّز بعضها عن بعض ونروم في هذا المبحث أن نفحص كيفية اشتغال الجهاز المبين في الترسيمة (11) في إنجاز كل صنف من هذه الأصناف.

بوجه عام، إذا كان إنتاج الخطاب المباشر وفهمه لا يشغل إلا المكون الأول من الجهاز (11) كما رأينا، فإن الخطاب الموسّط بمختلف فروعهِ يوظف هذا الجهاز كله، مكونيه الدخّل والخارج مضافاً إليهما المكون المحوّل.

#### 4.1. الترجمة البينية وتعليم اللغات

تناظر عملية تعليم اللغات عملية الترجمة البينية (من لغة إلى لغة) من حيث إن العمليتين نقل لخطاب ما من لغة إلى لغة، نقل يقوم به ملقن في الحالة الأولى ومترجم في الحالة الثانية.

وينعكس هذا التناظر من حيث طبيعة العمليتين في كيفية تشغيل الجهاز

(11).

(1) الذوات المشاركة في العمليتين المنتج للخطاب [أ] ومتلقيه [ج] والوسيط الناقل [ب].

(2) انطلاقاً من المكون المفهومي 1، يصوغ [أ] البنية التحتية 1 المحددة تداولاً ودلالة ينقلها الموّلد 1 إلى البنية السطحية 1 التي تتحقق (صوتاً أو خطاً) في الخطاب 1.

(3) يتلقى [ب] الخطاب 1 فيحلّله عبر المحلّل 1 ابتداءً من البنية السطحية 1 إلى البنية التحتية 1 نقطة الانطلاق؛

(4) تدخل البنية التحتية 1 إلى المكون المحوّل الذي يعيد صياغتها، بواسطة النحو المقارن، في اللغة الهدف؛

(5) تنقل البنية التحتية 2 عبر آليات الموّلد 2 الخاصة باللغة الهدف إلى البنية السطحية 2 ويتم تحقيقها في شكل الخطاب 2؛

(6) يتلقى [ج] الخطاب 2، الخطاب المنتج في اللغة الهدف، فيقوم بتحليله،

مروراً بالبنية السطحية 2، وإرجاعه بواسطة المكون المحلّل 2 إلى البنية التحتية 2.

يستدعي إجراء هذه المسطرة في تشغيل الجهاز (11) الملاحظات التالية:

**أولاً،** حين نتحدث عن نحو مقارن بصدد المكون المحوّل فالمقصود نحو وظيفي لا يرصد خصائص اللغتين المعنيتين بالترجمة أو بالتعليم من حيث كونهما نسقين لغويين متتامطين أو غير متتامطين فحسب بل كذلك تحقق هذه الخصائص في النمط الخطابي الذي ينتمي إليه النصّ موضوع النقل. مفاد هذا أن النحو الوظيفي المقارن مسؤول، مثلاً، عن ضبط نقل خطاب شعري من لغة إلى لغة، بمراعاة كيفيات تحقق هذا الخطاب في اللغتين؛

**ثانياً،** يُفترض في البنية التحتية 1 والبنية التحتية 2 أن تتماثلا من حيث شقهما التداولي وشفقهما الدلالي معاً. وإن تعذر هذا التماثل – وذلك نادراً ما يحصل لما لهذه البنية التحتية من حظوظ الكلية- فيلجأ آنذاك إلى "عملية تكيف" (8)؛

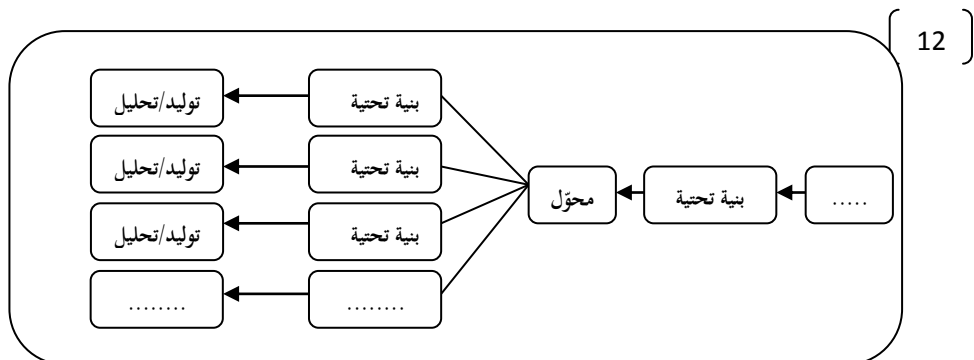
**ثالثاً،** يكون النقل "وفياً"، كما يقال، بقدر ما يلتزم فيه [ب] بالمكون المفهومي 1 والمكون السياقي 1 المسؤولين عن إنتاج الخطاب المروم نقله؛

**رابعاً،** يمكن للمتلقي [ج]، وهو يحلّل الخطاب 2 أن يُعمل مكونيه المفهومي والسياقي الخاصين كما يمكن أن يلتزم بالوارد عليه من المكوّن المحوّل. يمكن أن يستخدم المكون المفهومي 3 والمكون السياقي 3 أثناء عملية تحليل [ج] للخطاب بقطع النظر عما يصل إليه كخرُج للمكوّن المحوّل. ويمكن أن يُلجأ إلى هذين المكونين بدرجات متفاوتة، كلاً أو جزءاً، أثناء عملية التحويل ذاتها حين يُدخّل [ب]، أي المترجم، في حسبانهِ معارف وسياق المترجم له أي [ج]. ويحصل ذلك على سبيل المثال لا الحصر حين يترجم نص من الفكر اللغوي العربي القديم على أساس أن يكون المستهدف بالترجمة العشيرة اللسانية المعاصرة؛

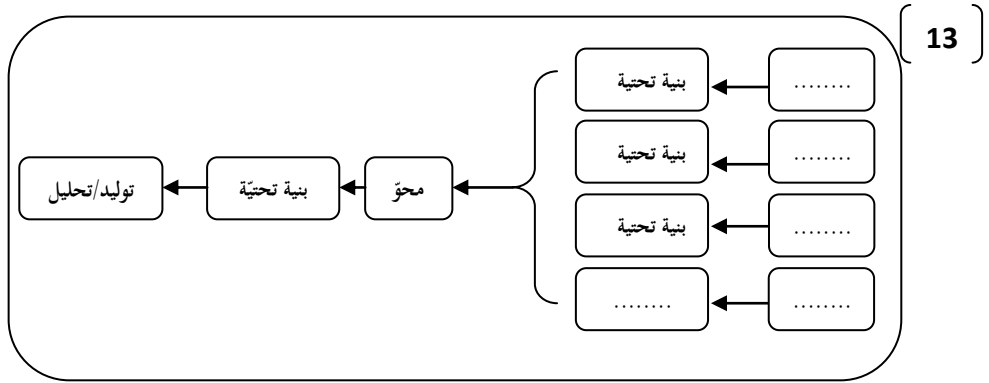
**خامساً،** يصدق ما قلناه عن الانتقال من لغة إلى لغة على الانتقال من مستوى لغوي إلى مستوى لغوي آخر داخل نفس اللغة، كما يمكن أن يحصل مثلاً من إحدى الدوّارج العربية إلى العربية الفصيحة أو العربية الفصحى أو العكس ترجمة أو تعلماً.

**سادساً،** فيما يتعلق بالترجمة البيئية على الخصوص، يمكن أن تتم من لغة إلى لغة كما يمكن أن تتم في نفس الوقت، من لغة إلى أكثر من لغة واحدة حيث يمكن الحديث عن " الترجمة البيئية الثنائية " و " الترجمة البيئية المتعددة ". في الحالة الثانية، لا يستدعي الأمر جهازاً آخر غير الجهاز ( 11 ) حيث يُكتفى بالبنية التحتية 1 ونقلها عبر المكوّن المحوّل إلى بنيات تحتية تتعدّد بتعدّد اللغات المروم الترجمة إليها على أن يتكرّر الشق الثاني من الجهاز في توليد ثم تحليل كل خُرُج من خُرُوج المكوّن المحوّل الذي يُزوّد بالأنحاء المقارنة المقنّضاة.

يمكن أن نوضح ذلك في الترسّيمة (12):



يمكن أيضا أن تتم الترجمة من لغات متعددة إلى لغة هدف واحدة. حينذاك، تُعكس المسطرة كما يتبين من الترسيم (13):



## 4.2. الترجمة العينية

تقدم أن المقصود بالترجمة العينية في اصطلاحنا هي الترجمة التي تتم داخل نفس اللغة كما تقدّم أنها أربعة أنواع: تلخيص وشرح وتفسير وتأويل.  
سؤالنا الآن هو: كيف يشغّل الجهاز (11) في كل من هذه الأنواع الأربعة؟

### 4.2.1. التلخيص

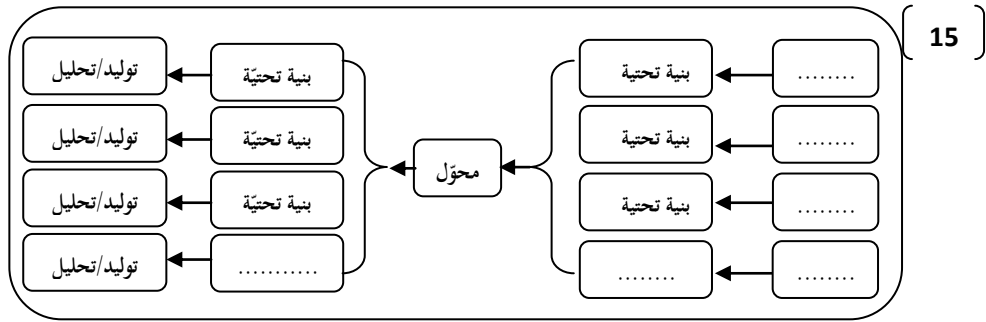
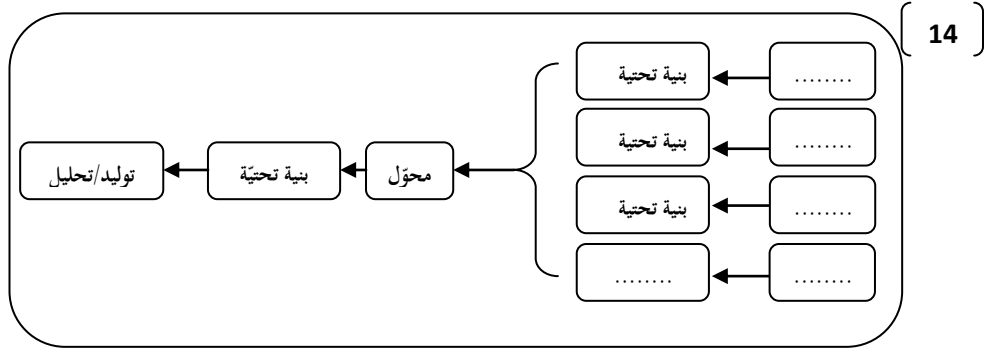
سبق أن عرّفنا التلخيص بأنه خطاب يقوم مقام البديل المقتضب للخطاب الأصل.

وتنجز عملية التلخيص على هيأتين: أولاهما، أن يختزل فحوى الخطاب الأصل وثانيتهما، أن تجتزأ من الخطاب الأصل قطعاً تُعدّ ممثلة لأهم ما ورد فيه.  
على هذا الأساس يمكن أن يُصنّف التلخيص صنفين: تلخيص اختزال وتلخيص اجتزاء.

(1) تُشغّل آليات الجهاز (11) في التلخيص بصنفيه بنفس الطريقة التي تشغّل بها حين يتعلق الأمر بأي خطاب موسّط. توليد خطاب من [أ] عبر المولّد يحلله [ب] بواسطة المحلّل 1 ثم إدخال البنية التحتية المنطلق إلى المكوّن المحوّل لينقلها إلى بنية تحتية هدف يتولى المولّد 2 نقلها إلى خطاب يقوم [ج] بتحليله عبر المحلّل 2؛  
(2) الفرق المسطري بين تلخيص الاختزال وتلخيص الاجتزاء يكمن في دُخْل المكوّن المحوّل وخرجه:

(أ) في تلخيص الاختزال، ترسل جميع البنيات التحتية للخطاب الأصل إلى المكوّن المحوّل الذي يقوم بصهرها في عدد أقل من البنيات قد يؤول إلى بنية واحدة؛  
(ب) أمّا في تلخيص الاجتزاء، فلا يرسل إلا بعض من البنيات التحتية للخطاب الأصل إلى المكوّن المحوّل الذي ينقل كل بنية إلى ما يقابلها؛

بيان الفرق المسطري بين صنفى التلخيص في الترسميتين (14) و(15):



#### 4. 2. 2. الشرح/ التفسير/ التأويل

ما يدعو إلى الجمع بين الشرح والتفسير والتأويل أن هذه العمليات تستهدف ثلاثتها نقل خطاب ما إلى خطاب آخر يفترض فيه أن يكون أقرب إلى الفهم<sup>(9)</sup>.  
 إلا أنها تختلف من حيث تشغيلها للجهاز ( 11 ) - وإن كانت تخضع للمسطرة العامة المعتمدة في كل خطاب موسّط- اختلافاً يمكن رصده على النحو التالي:  
 (أ) يتقاسم الشرح والتفسير خاصية "الموضوعية" أي الالتصاق بالخطاب المروم شرحه أو تفسيره؛

يعني هذا بالنظر إلى اشتغال الجهاز ( 11 ) أن المكوّن المحوّل يلتزم التزاماً تاماً بالوارد عليه من مكوني الإنتاج المفهومي والسياقي، المكون المفهومي 1 والمكون السياقي 1 دون ما يمكن أن يرد من غيرهما.

إذا كان الأمر كذلك فما الفرق إذن بين الشرح والتفسير ؟

إذا ما غضضنا الطرف عن الفرق في المجال (حيث إن الشرح يكون لأي نمط من أنماط الخطاب في حين أن التفسير يكاد يختص بالخطاب الديني)، يمكن القول إن المكوّن المحوّل يوظّف في التفسير من المعلومات الواردة عليه من مكوني الإنتاج المفهومي والسياقي ما لا مدعاة لتوظيفه حين يتعلق الأمر بمجرد الشرح. من هذه المعلومات خلفية المنتج للخطاب المعرفية وسياقه التاريخي والاجتماعي وظروف الإنتاج وعلاقة الخطاب بخطابات أخرى من نفس الحقل وغير ذلك.

(ج) أمّا عملية التأويل فلا تلتزم بالاستجابة لقيد الموضوعية بالضرورة. فالمؤول يستخدم معارفه الخاصة وسياقه الآني مغفلاً ظروف إنتاج الخطاب الأصل وإن كانت تظل حاضرة بعض الحضور في عملية التأويل.

ما يعنيه هذا، بالنظر إلى مسطرة اشتغال الجهاز ( 11)، أن المكون المحول يعتمد مخزون مكوني التحليل المفهومي والسياقي، المكون المفهومي 2 والمكون السياقي 2، مع "تحييد" شبه تام لما يرد عليه من المكون المفهومي 1 والمكون السياقي 1.

للتمثيل للفرق بين العمليّات الثلاث، لنعد ثانية إلى كميّات التعامل مع الفكر اللغوي العربي القديم ولنصّ بعينه من "دلائل الإعجاز". يقول الجرجاني (الدلائل: 82) عن توسيط المفعول بين الفعل والفاعل في التراكيب التي من قبيل (16):

(16) قتل الخارجي زيد

(17) "قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يباليون من أوقعه كمثل ما يُعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعبث ويفسد ويكثر منه الأذى أنهم يريدون قتله ولا يباليون من كان القتل منه ولا يعنيه منه شيء فإذا قتل وأراد مرید الإخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول "قتل الخارجي زيد" ولا يقول "قتل زيد الخارجي" لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم".

يمكن أن يشرح هذا النص شرحاً محضاً بتقريبه إلى الفهم عن طريق توسيع فحواه وإغنائه بأمثلة أخرى لنفس الظاهرة كما هو الشأن في الشروح المختلفة التي ألفت قديماً لتقريب كتب النحو من المتعلمين. ويمكن أن يتناول نفس النصّ بالتفسير فيوضع في إطار "نظرية النظم" التي يدافع عنها الجرجاني ويربط بنصوص نحوية وبلاغية قديمة تعالج ظاهرة الرتبة في اللغة العربية. وظاهرة "التقديم" وما يلزم عنه من معانٍ على الخصوص.

يعدّ تفسيره على هذا النحو تفسيراً موضوعياً تلافياً لمزالق الإسقاط<sup>(10)</sup>، يمكن أن يؤوّل النص ( 17)، من منظور نظرية النحو الوظيفي، كما سبق أن فعلنا (المتوكل ( 1986) و( 2006) و( 2010)) على أساس أن احتلال مكوّن ما من مكونات الجملة للموقع الذي يتوسّط موقعي الفعل والفاعل من استراتيجيات "المحورة" التي تتيحها اللغة والتي تقابل استراتيجية "التبئير" المتحققة في التراكيب التي من قبيل (18) مثلاً:

(18) الخارجي قتل زيد (لا غير الخارجي)

يمكن بالطبع أن يدخل النص ( 17) إلى الجهاز ( 11) قصد شرحه أو تفسيره أو تأويله فيخضع للمسطرة العامة المتبّعة في تشغيل الجهاز عند إنجاز هذه العمليات الثلاث على أساس أن المنتج الجرجاني الصادر في توليده للنص عن مخزونه المفهومي والسياقي وأن المتلقي (شارحاً أو مفسراً أو مؤولاً) قارئ محدث (لساني مثلاً) وأن البنية التحتية للنص بعد تحليله تخضع لآليات المحوّل إمّا على جهة الالتزام الحرفي أو الالتزام مع التوسّع أو التحييد على درجات فينقل خرج المحول إلى خطاب ثان قابل للتحليل من جديد.

الترجمة، بالنظر إلى طبيعة نسق التواصل (أو قناته)، ترجمتان كما سبق أن بيّنا: ترجمة نسقية تتم داخل نفس النسق التواصلية وترجمة أنساقية تنجز فيها عملية النقل من نسق تواصلية إلى نسق تواصلية آخر (من لغة إلى إشارة أو صورة أو عكس ذلك).

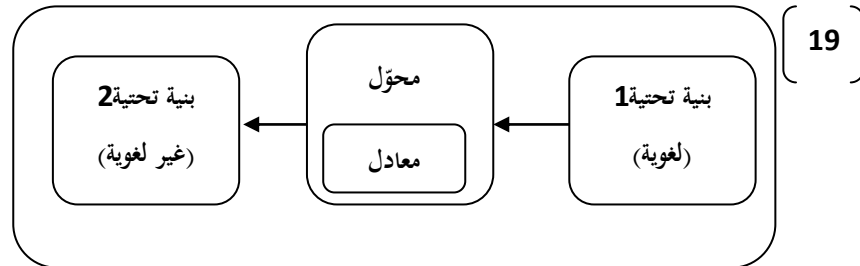
وتقدّم أن الجهاز (11) باعتباره مجموعة من القوالب والآليات غير محددة الفحوى، صالح لأن يرصد عمليتي الإنتاج والتحليل وعملية النقل أيّاً كانت طبيعة الخطاب من حيث قناة التواصل المستخدمة.

لفرض أننا أمام خطاب لغوي منتج داخل لغة معينة يراد ترجمته إلى خطاب غير لغوي إشاري أو صوري أو موسيقي مثلاً. في هذه الحالة، يشغل الشقّ الأول من الجهاز (11) وفقاً لمسطرتي الإنتاج والتحليل حيث تصاغ البنية التحتية 1 التي يتولّى توليدها المولّد 1 فينقلها إلى البنية السطحية 1 التي تحقق في خطاب يتولى المحلّل 1 إرجاعه إلى البنية التحتية منطلق الإنتاج اعتماداً للمعلومات المرصودة في المكون المفهومي 1 والمكون السياقي 1 حين يكون التلقي تلقياً تزامناً أو للمعلومات المتوافرة في المكون المفهومي 2 والمكون السياقي 2 حين يتعلق الأمر بتلقي التباعد. وترسل البنية التحتية 1 إلى المكون المحوّل الذي ينقلها إلى البنية التحتية 2 التي يتم إدخالها إلى المولّد 2 فتعالج وتنقل إلى البنية السطحية للخطاب غير اللغوي الهدف.

كان من الممكن أن نتعامل مع الترجمة الأنساقية تعاملنا مع الترجمة النسقية وأن نتصور أن الجهاز (11) يشغل في الترحمتين في كليته وجزئياته نفس الاشتغال لو لم تكن ملتزمين بالإجابة على السؤال التالي: ما هي طبيعة البنية التحتية 2 حين يتعلق الأمر بنسق تواصلية غير اللغة؟ سؤال يمكن أن يأخذ صيغة أعمّ فيقال: هل لكل نسق تواصلية بنية تحتية تخصه أم هل كل الأنساق التواصلية آيلة إلى بنية تحتية واحدة عنها يصدر مستعمل اللغة والرسام والموسيقي والمتواصل بالإشارة؟

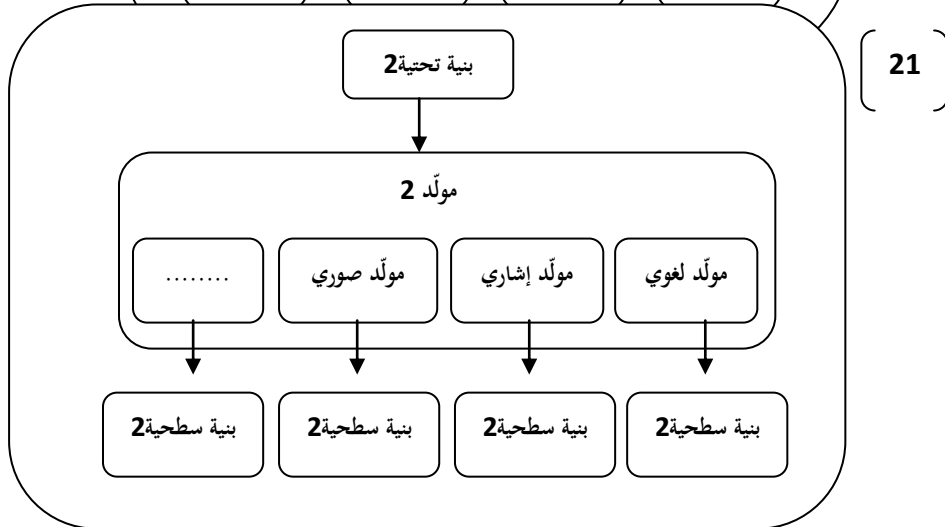
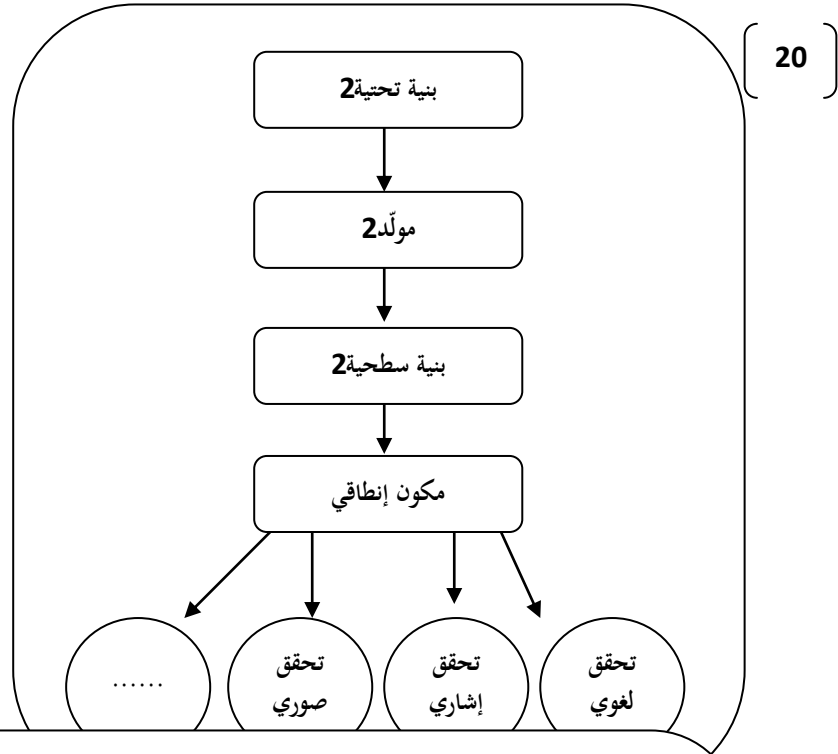
(1) إذا كان الجواب أن البنيات التحتية تختلف باختلاف طبيعة أنساق التواصل، توجب تزويد المكون المحوّل بمكون فرعي يرصد "المعادلات" بين هذه الأنساق.

في هذه الحالة وبفضل المكوّن المعادل، تُنقل البنية التحتية 1 إلى بنية تحتية غير لغوية<sup>(11)</sup> كما توضح ذلك الترسيم (19):



(2) أما إذا كان الجواب أن البنية التحتية للأنساق التواصلية بنية واحدة، هي البنية اللغوية، تتحقق تحققات مختلفة اختلاف الأنساق فإننا نكون بين اختيارين: أولهما، أن يشغل الجاهز ( 11 ) في شقه الثاني بطريقة اعتيادية (بإدخال البنية 2 إلى المولد 2 الذي ينقلها إلى البنية السطحية 2) حتى الوصول إلى مستوى البنية السطحية 2 التي تُرسل إلى المكون الإنطائي (أو "المكون الخرج") الذي يحققها في شكل لغوي (صوتي أو خطي) أو صوري أو إشاري، وهو الاختيار الذي يبدو أن هنخفد وماكنزي يذهبان في اتجاهه (12) وثانيهما، أن يتم التحقيق النسقي قبل ذلك أي في المولد 2 ذاته باعتباره يتضمن مولدات فرعية تختلف باختلاف الأنساق ينتقى منها المولد الفرعي الوارد لنقل البنية التحتية 2 إلى بنية سطحية تخص النسق التواصلية المترجم إليه.

بيان هذين الاختيارين في الترسيمتين (20) و(21):



نظرا لراهن معارفنا عن هذا الموضوع بالذات، نفضل أن نلتزم بالتوقف وأن نترك المسألة مفتوحة لمزيد من البحث.

#### 4.4. الخطاب المنقول

من أنواع الخطاب الموسّط الخطاب الذي اصطلحنا على تسميته "الخطاب المنقول". والخطاب المنقول، كما مر بنا، خطابان: خطاب منقول "مستقل" لا تدخل للناقل فيه فحوى أو بنية وخطاب منقول "مدمج" متصرف فيه أو غير متصرف فيه. لنر الآن كيف يتم نقل صنفَي الخطاب هذين وكيف يشغل الجهاز ( 11 ) في إنجاز هذا النقل.

(1) الذوات المشاركة في هذه العملية ثلاث ذوات كما يحصل في كل خطاب موسّط: الذات المنتجة للخطاب [أ] والذات [ب] التي تقوم بتحليله ثم نقله والذات [ج] المنقول إليها الخطاب والتي تعيد تحليله؛

(2) سواء أكان الخطاب خطابا منقولا مستقلا أم كان خطابا منقولا مدمجا يصوغ [أ] البنية التحتية 1 التي تشكل دخلا للمولد 1 الذي ينقلها إلى البنية السطحية 1 كل ذلك بمعونة المكون المفهومي 1 والمكون السياقي 1. ثم ينتقل [ب] عبر المحلل 1 إلى البنية التحتية 1 وهو يعتمد إما مكوني الإنتاج المفهومي والسياقي أو يتوسل بمكونيه المفهومي والسياقي الخاصين به حسب علاقة زمن النقل بزمن الإنتاج؛ (3) في مرحلة التحويل تجرى المسطرة المعتاد إجراؤها حيث تنقل البنية التحتية 1 عبر المكون المحول إلى البنية التحتية 2؛

(4) يبدأ الاختلاف بين الخطاب المنقول نقل استقلال والخطاب المنقول نقل إدماج (مع درجات التصرف فيه) في مرحلة توليد البنية السطحية 2 عبر المولد 2: (أ) حين يكون الخطاب المنقول مستقلا، يستمد المولد 2 فحواه من المولد 1 عن طريق الاستنساخ فينقل البنية 2 إلى بنية سطحية تماثل تمام التماثل البنية السطحية 1. تستلزم عملية الاستنساخ التوليدي هذه مد جسرا بين المولد 1 والمولد 2 يضمن الاتصال بين المولدين؛

(ب) أما حين يتعلق الأمر بالخطاب المنقول المدمج، فإن المولد 2 يعمل آلياته الخاصة في نقل البنية التحتية 2 إلى بنية سطحية تتفاوت درجات اختلافها عن البنية السطحية 2؛

بتعبير آخر يكمن الفرق بين الخطاب المستقل والخطاب المدمج بمختلف أشكاله في عملية تسطيح البنية 2.

## خلاصة

تماشياً مع طبيعة المجال المروم تغطيته وانسجاماً مع المنهج المعتمد منطلقات وهدفاً، صيغ جهاز عام موحد بتوسيع نموذج نحو الخطاب الوظيفي. يكفل الجهاز المقترح، باعتباره مجموعة من آليات التوليد والتحليل والتحويل، رصد عمليتي إنتاج الخطاب المباشر وتحليله في حالي سلامته واضطرابه، كما يرصد مختلف العمليات التي يستلزمها الخطاب المتوسط. يشغل نفس الجهاز اعتماداً لنفس المسطرة مع تكييفات محلية في كل الانجازات التي يمكن أن يقوم بها مستعمل اللغة سواء أكانت نقلاً محضاً أم تعليماً للغة ثانية أم ترجمة، وسواء أكانت الترجمة ترجمة نسقية تتم بين لغتين أو داخل نفس اللغة أم كانت ترجمة أنساقية تمدّ الجسور بين أنساق التواصل ومختلف قنواته.

## الهوامش

- (1) المقصود بذلك: ما قبل النموذج المعياري (دك 1978) و"النموذج المعياري" (دك 1989) و(1997 أوب)) و"النحو الوظيفي المتنامي" (ماكنزي (1998)) و"النموذج المعجمي-الوظيفي" (مدرسة مدريد) و"نحو الطبقات القالبية (المتوكل (2003)) وأخيرا "نحو الخطاب الوظيفي" (هنخفلد وماكنزي (2008)).
- (2) من العبارات التي لا حاجة إلى تمريرها عبر المستوى التمثيلي ولا عبر المستوى الصرفي التركيبي والتي تدمج رأسا في المستوى العلاقي عبارات التحايا ("أهلا وسهلا") وما أسمىناه في مكان آخر (المتوكل (2005)) "أشباه الجمل" مثل: "هيهات"، "ويحك"، "أواه" وغير ذلك
- (3) انظر أدبيات ما سمي "نظرية الأفعال اللغوية" وخاصة أوستين وسورل وجرايس وستراوسن
- (4) نقصد ب"الترتيب غير الموسوم تداوليا" الترتيب الذي لا تحدده الوظائف التداولية أو السمات الوجهية وهو في اللغة العربية الترتيب: فعل-فاعل-مفعول، على أساس أن تقاليب هذا الترتيب في نفس اللغة تقضي إلى ترتيب "موسومة"
- (5) سنعود في مبحث لاحق إلى أهمية إمكان أن يكون خرج المكون الإنطائي تحقفا إشاريا بالنظر إلى الترجمة الأنساقية وكيفية إنجازها
- (6) سنعود إلى مسألة تحليل نصوص الفكر اللغوي العربي القديم بالمزيد من التفصيل والتمثيل في مبحث لاحق
- (7) يراجع تفاصيل في هذا الباب بحوث دبلوم الدراسات العليا المتوافرة في مكتبة كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط
- (8) من أمثلة ذلك ما يحصل حين يراد نقل التمييز الذي تقيمه اللغة العربية بين القوتين الإنجازيتين "التمني" و"الترجي"
- (9) تحليل النصوص تحليلان: تحليل فهم وتحليل إفهام. في التحليل الأول يستهدف المتلقي مجرد فهم الخطاب بإرجاع بنيته السطحية إلى بنيته التحتية المنطلق. أما التحليل الثاني فيندرج في الخطاب المتوسط من حيث إنه يوجّه إلى ذات ثالثة ويكون شرحا أو تفسيراً أو تأويلا وهي العمليات الثلاث التي ارتأينا إدراجها في ما أسمىناه "الترجمة العينية". هذه العمليات الثلاث حاضرة بدرجات متفاوتة – منفردة أو مجتمعة اجتماع تكامل – في الدراسات التي تعنى بتحليل الخطاب بوجه عام. مفاد هذا أن نموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع يمكن أن يعتمد إلى حد ما في الدراسات النصية نقدية كانت أم شعرية أم سيميائية.
- (10) انظر المنهجية المقترحة في هذا الصدد في (المتوكل (2006) و(2009))
- (11) لعل من الممكن أن تعد الكتابة الموسيقية (النوتة) لقطعة موسيقية ما بنية تحتية لهذه القطعة

(12) في نموذج إنتاج الخطاب الذي يقترحانه، يتحقق خرج المكون الإنطائي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، في الصوت أو الخط أو الإشارة. من هذا المنظور يمكن أن نضيف تحقيقات أخرى لخرج هذا المكون كالرسم مثلا.

## خاتمة

نرجو أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق من خلال هذا البحث في الإسهام في حقل الدراسات الترجمية حيث تمكنا من رفع التمييز المعتاد إقامته بين الترجمة الأدبية والترجمة العلمية وغيرهما وبين الترجمة والتعريب ومن وضع الترجمة، في المقابل، في إطارها العام باعتبارها فرعاً من فروع الخطاب المتوسط التي يشملها بمختلف أنماطها ويشمل معها تعلم اللغات والنقل المحض.

ونأمل أن نكون قد أفلحنا إلى حد ما في تحقيق الكفاية النفسية لنموذج مستعملي اللغة التي لا تنحصر قدرته في إنتاج الخطاب وفهمه كما يعتقد بل تمتد إلى الانتقال من خطاب إلى خطاب داخل نفس اللغة أو من لغة إلى لغة أو من نسق تواصلية إلى نسق تواصلية آخر عبر ملكة تواصلية عامة ليست الملكة اللسانية إلا فرعاً متميزاً من فروعها. فكان أن اصطنعنا، انطلاقاً من النموذج المقترح في نحو الخطاب الوظيفي، جهازاً موحداً كفيلاً إلى حد بعيد برصد هذه القدرة وما تنتجها لمستعملي اللغة (أو المتواصل بوجه عام) إن كان محض ناقل أو مترجماً أو شارحاً أو مفسراً أو مؤولاً، وإن كان في طريق اكتساب لغة أولى أو ساعياً في تعلم لغة ثانية.

بفضل اصطناع جهاز من هذا القبيل، مخلفاً بثوابت منهجية تحكمه وتقومه، تمكنا -فيما نظن- من اختزال عدد كبير من النظريات القطاعية غير المبررة مراسياً ولا نظرياً وإرجاعها إلى نظرية لسانية واحدة هي النظرية الوظيفية العامة المقترضة فيها أن تكون نظرية للتواصل بمختلف أنساقه وقنواته وأنماطه تفرز نحواً تواصلياً عاماً ونحواً لسانياً كلياً تتفرع عنه أنحاء نمطية للغات وللخطابات على السواء تتوسط في شكل أنحاء خاصة، كما تفرز أنحاء وظيفية مقارنة تضمن التجسير بين الأنحاء النمطية من جهة وبين الأنحاء الخاصة من جهة ثانية بما يقتضيه الانتقال من نمط إلى نمط أو من لغة على لغة.

ولعلنا قد أحرزنا من خلال ذلك كله قسطاً معقولاً من المطمح الذي مازلنا نسعى في استشراف تحقيقه، مطمح إدراج نظرية النحو الوظيفي في تلك النظرية الوظيفية العامة من أجل إقديها لا على وصف اللغات وتفسير ظواهرها وتنميطها ورصد تطورها فحسب بل كذلك على مقارنة مختلف القطاعات الاجتماعية-الاقتصادية التي تتوسل اللغة كلاً أو جزءاً.

ما نتمناه أن نقوم مستقبلاً - أو يقوم غيرنا من اللسانيين وأخصائي علم النفس وعلماء الحاسوب- بتمحيص ما اقترحناه إن بإبطاله أو بتصحيحه أو بتقويمه ما ضلّ منه.

## المراجع

### المراجع بالعربية

إسماعيلي علوي، حافيظ

(2004) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية. عالم الفكر، العدد 2، المجلد 33.

(2009) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقّي وإشكالاته. دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1.

البوشيخي، عز الدين

(1998) قدرة المتكلم التواصلية وإشكال بناء الأنحاء. أطروحة دكتوراه، مكناس، كلية الآداب.

(2009) أعمال ندوة "المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وأفاقه"

منشورات جامعة مولاي إسماعيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية. مكناس. سلسلة الندوات 20. ط 1. (تنسيق)

جدير، محمد

(2000) مقارنة وظيفية لرواية "ضحايا الفجر". الرباط: مطبعة أبي رقرق.

الجرجاني، عبد القاهر

دلائل الإعجاز. تحقيق: أحمد مصطفى المراغي. المكتبة المحمودية التجارية، القاهرة، ط 2، بدون تاريخ.

الزهري، نعيمة

(1998) الأمر والنهي في الفكر اللغوي العربي القديم. الرباط، دار

المعارف.

(2006) النحو الوظيفي واللغة العربية. الدار البيضاء، كلية الآداب، عين

الشق.

(قيد الطبع) التعجب في اللغة العربية.

(2009) التعجب في اللغة العربية: طبيعته ووظائفه وبنياته. دار الفرقان.

ط 1.

الشهري، عبدالهادي بن ظافر

(2004) إستراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية. دار الكتاب

الجديد المتحدة، بيروت، ط 1.

مليطان، محمد الحسين

نظرية النحو الوظيفي: دراسة في المصطلح والمعجم، أطروحة دكتوراه (قيد

الانجاز)

المتوكل، أحمد

(1977) قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني. مجلة كلية الآداب،

الرباط، عدد 1.

- (1981) اقتراحات من الفكر اللغوي العربي القديم بوصف ظاهرة الاستلزام الحواري. كلية الآداب، الرباط، البحث اللساني والسميائي.
- (1985) الوظائف التداولية في اللغة العربية. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- (1986) دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- (1987 أ) من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول في اللغة العربية. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- (1987 ب) من قضايا الرباط في اللغة العربية. الرباط: منشورات عكاظ.
- (1988 أ) قضايا معجمية: المحمولات الفعلية المشتقة في اللغة العربية. الرباط: اتحاد الناشرين المغاربة.
- (1988 ب) الجملة المركبة في اللغة العربية. الرباط: منشورات عكاظ.
- (1989) اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري. الرباط: منشورات عكاظ.
- (1993 أ) الوظيفة والبنية: مقارنة وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية. الرباط: منشورات عكاظ.
- (1993 ب) آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي. الرباط: منشورات كلية الآداب.
- (1995) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي-التداولي. الرباط: دار الأمان.
- (1996) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيبية. الرباط: دار الأمان.
- (2001) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، الرباط: دار الأمان.
- (2003) الوظيفية بين الكلية والنمطية. الرباط: دار الأمان.
- (2005 أ) التركيبات الوظيفية: قضايا ومقاربات. الرباط: دار الأمان.
- (2005 ب) مفهوم الكفاية وتعليم اللغات. كلية الآداب، مكناس، سلسلة الندوات 15.
- (2006) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد. الرباط: دار الأمان.
- (2009) مسائل النحو العربي في قضايا النحو الوظيفي، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان.
- (2010) الخطاب وخصائص اللغة العربية، الدار العربية للعلوم بيروت، ومنشورات الاختلاف الجزائر، ودار الأمان الرباط.

**Chomsky, Noam**

1966 La linguistique cartésienne. Paris: Le Seuil.

1967 Reflections on language. New York: Pantheon Books.

1977 Essays on Form and Interpretation. Elsevier: North-Holland.

1981 Lectures on Government and Binding. Dordrecht: Foris.

**Connolly J. H., C.S. Butler, R. Vismans, and R. Gatward** (eds)

1997 Discourse and Pragmatics in Functional Grammar.  
Berlin: Mouton de Gruyter.

**Devriendt B., L. Goossens, and J. V. der Auwera** (eds)

1996 Complex structures. A functionalist perspective.  
Berlin: Mouton de Gruyter.

**Dik, S. Charles**

1989 The Theory of Functional Grammar. Part 1. The structure of the clause. Dordrecht: Foris.

1997 a The Theory of Functional Grammar. Part 1. The structure of the clause. Second. Revised edition. Edited by Kees Hengeveld. Berlin: Mouton de Gruyter.

1997 b The Theory of Functional Grammar. Part 2: Complex and derived constructions. Edited by Kees Hengeveld. Berlin: Mouton de Gruyter.

**Engberg-Pedersen F., L. Falser Jakobson and L. Schack Rasmussen** (eds)

1994 Function and Expression in Functional Grammar.  
Berlin: Mouton de Gruyter

**Greimas, A. J.**

1966 Du sens. Paris: Le Seuil.

**Groot, Casper (de) and Kees Hengeveld** (eds)

2005 Morphology and Syntax in Functional Grammar.  
Berlin: Mouton de Gruyter.

**Halliday, M. A. K.**

1970 Language structure and language function. In: J. Lyons (ed).

**Hannay, Mike and Elseline Vester** (eds)

1988 Working with Functional Grammar: descriptive and computational applications. Dordrecht: Foris.

**Hannay, Mike and Mactelt A., Bolkestein** (eds)

1998 Functional Grammar and verbal interaction. Amsterdam: Benjamins.

**Hengeveld, Kees**

1997 Cohesion in Functional Grammar. In: Connolly, Butler, Vismans and Gatward (eds).

2004 a The architecture of Functional Discourse Grammar. In: Mackenzie and Gomez-Gonzalez (eds).

2004 b Epilogue. In: Mackenzie and Gomez-Gonzalez (eds).

2005 Dynamic Expression in Functional Discourse Grammar. In: Groot and Hengeveld (eds).

(fc) Interpersonal functions, representational categories and syntactic templates in Functional Discourse Grammar.

**Jackobson, R.**

1966 Essais de linguistique générale. Paris: Minuit.

**Jadir, Mohammed**

2005 La cohérence du discours en Grammaire Fonctionnelle: le cas du texte narratif. Rabat: Editions Bouregreg Communication.

**Mackenzie, J. Lachlan**

1986 Aspects of nominalization in English and Dutch.

WWPFG 15.

1989 "Let's get our heads together: A reply to van der Auwera". In: Hannay and Vester (eds).

1996 "English nominalizations in the layered model of the sentence". In: Devriendt. Goossens and vand  
der

Auwers (eds).

1998 "The basic of syntax in the holophrase". In: Hannay and Bolkestein (eds).

2004 Functional Discourse Grammar and Language Production". In: Mackenzie and Gomez-Gonzalez (eds).

2009 Revisiter Moutaouakil. In

**Mackenzie, J. Lachlan and M. A. Gomez-Gonzalez**  
(eds)

2004 A new architecture for Functional Grammar. Berlin: Motoun de Gruyter.

**Moutaouakil, Ahmed**

1982 Réflexions sur la théorie de la signification dans la pensée linguistique arabe. Publications de la faculté des Lettres, Rabat.

1984 Le focus en Arabe: vers une Analyse Fonctionnelle.  
In: Lingua 64.

1985 Topic in Arabic: Towards a Functional Analysis.  
In: Bolkestein et al (eds).

1991 a On Representing Implicated Illocutionary Force:

Grammar or Logic? WPF 40.

1991 b Negative Constructions in Arabic: Towards a Functional Approach. In: K. Devenyi and T. Ivznyi. (eds) 3.4.

1993 Reflections on the layered underlying representation in Functional Grammar. University Mohamed V, Rabat.

1994 Term-to-phrase mapping rules: A case study from Arabic. In: Engberg-Pedersen. Falster Jakobsen and Schack. Rasmussen (eds).

1998 Benveniste's Recit vs Discours dichotomy as discourse operator in Functional Grammar. In: M. Hannay and A. M. Bolkestein (eds).

1999 Exclamation in Functional Grammar: sentence type.  
Illocution or modality ? WPF no. 69.

2000 Reflections on the layered underlying representation

in Functional Grammar. Casablanca: Afric-Orient.

2003 Préliminaires à une grammaire fonctionnelle de discours. In: Jadir M. (ed).

2004 a Discourse structure, the generalized parallelism hypothesis and the architecture of functional grammar. In: Madkenzie and Gomez-Gonzalez (eds).

2004 b Function independent morpho-syntax. In: Aertsen Henk, Mike Hannay and Rod Lyall (eds).

2005 Exclamation in Functional Grammar. In: Groot and Hengeveld (eds).

2006 Functional Grammar and Arabic. Encyclopedia of the Arabic Language and Linguistic. Leiden: Brill Academic Publishers. Vol. II.

2007 Coordinative constructions in Arabic. Some aspects of morpho-syntax as an indicator of Interpersonal status. In:

Advances in Functional Discourse Grammar. Alfa special volume. Brazil.

2009 Exceptive constructions in Arabic: From the Arabic Grammatical Transition to Functional Discourse Grammar. WPF. Special issue.

### **Vet, Co**

1998 The multilayered structure of the utterance. In M. Hannay and A. M. Bolkestein (eds).